البحث ايضا الى التفسير الظاهرى ، وخاصة عند ابن حزم ، ومهما يكن من شيء ، فسوف يصبح من اللازم القيام باستقراء شامل للاضداد التى وردت فى القرآن ، والسيطرة عليها بمنهج يصنف مظاهرها فى كل من الجدل ، والمعاملات ، لكى تتحدد اهميتها ودلالتها الحقيقية ·

ما النتيجة ؟

على الرغم من نقص دراستنا ، يبدو ممكنا ان نضع كفرض من بين الدوافع التى ادت الى مبحث الاضداد : ان جزءا كبيرا منه يرجع الى اهتمامات خاصة بتفسير القرآن ، وانا على علم بأن القائمة التى بين ايدينا حاليا تدل على أن مكان الاضداد فى القرآن لم يدرس بعد ·

ومن ناحية اخرى ، فاذا توجهنا الى دراسة الاضداد ، فلابد أن نضع بجانب المصدر القرآنى ، المصدر البدوى الذى خرجت منه كثير من الالفاظ المتضادة ، الخاصة بحياة الصحراء ، وهيآتها ، وحيواناتها ·

وعلى سبيل المثال ، يتمثل النموذج الكامل للاضداد فى لفظة «جون» التى تدل على الابيض والاسود · ففى اللغة الحية نفسها يدل الجون على شيء معتم أو مظلم «ينزع نحو الحمرة» او كما تقول العبارة العربية الجيدة « مشرب بحمرة » ! لكن هناك بيتا للفرزدق يصف فيه قصرا فيقول «وجون عليه جص» اى : شيء اسود مطلىّ بجص ! وقال النحويون ! ان الناس ليعتقدون ان هذا يدل على الابيض . لكنهم لم يفهموا أن هذه هى الحالة «الاشد تطابقا» على مفهوم التضاد ·

ومع ذلك ، فلا يعنى الامر أن دافع التفسير كان هو الوحيد · لقد وجد بجانبه تلك الدوافع الأخرى التى ذكرناها : حب الاطلاع ، وضرورة الرد على افتراءات الشعوبية ، وانا اعتقد أن الامثلة التى اوردتها ذات دلالة كافية ، فالذى يبدو بوضوح ، انه فى مجال التفسير ، كلما تمسكنا بالمعنى الحرفى للنص ، لاتبرز امامنا مشكلة الاضداد ، لكن عندما ندخل اعتبارات لا علاقة لها بالمعنى الخام الاولىّ للنص ، فاننا نجد انفسنا مضطرين الى وضع تفسيرات أخرى ، فلماذا اذن نترك هذا الجانب الملائم من التفسير ؟

وحاصل القول انه فى آية (اسروا الندامة) مثلا ، يبدو اكثر منطقيا وملائمة لخط التناسق القرآنى بصفة عامة ، ان نعطى فعل (اسرو) — على الرغم من الوضوح المعجمى له — معنى يختلف عن «كتموا فى اعماق قلوبهم» !

النظائر في القرآن الكريم

بين

مقاتل بن سليمان البلخي ومحمد بن علي الحكيم الترمذي

للدكتور محمد الشاذلي

رغم الحملات الضارية التي استهدفت النيل من اللغة العربية والقرآن الكريم منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، فقد كشف المحققون عن روائع قديمة في علوم القرآن الكريم كما كشفوا النقاب عن أوجه الإعجاز البياني والتشريعي في كتاب الله الخالد ، هذا بالاضافة لما كشفه الباحثون حديثا من أوجه اعجازه التاريخي والعلمي .

وموضوع اليوم يتعلق بالاعجاز البياني اللغوي للقرآن الكريم وهو فرع من علوم القرآن وتفسيره يعنى بالدراسة التحليلية للمصطلحات الواردة في القرآن الكريم . وأقدم ما أشارت اليه المراجع في هذا الموضوع هو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» تأليف مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة 150 هجرية (767 م) الذي يعتبر من أوائل من كتب في علوم القرآن الكريم . وقد حقق هذا الكتاب القيّم حديثا الدكتور عبد الله محمود شحاته المدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة وقدم له بمقدمة دراسية عن المؤلف والكتاب ، وكان المحقق قد عثر على نسخة مصورة لمخطوطة الكتاب بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة عن أصل محفوظ بمكتبة عمومية في تركيا برقم 516 ، وهو مكتوب في القرن السابع الهجري بخط نسخ جميل ، ولم يعثر السيد المحقق على نسخة أخرى فاستعان في تحقيقه وضبطه بالتفسير الكبير للمؤلف نفسه الذي سبق له أن حققه .

ومن الجدير بالذكر أن المحقق قد حصل على الجائزة الثالثة عن بحثه هذا في المسابقة الثانية التي نظمها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط عام 1393 هـ (1973 م).

ويبدو أن الدكتور شحاته لم يطلع على كتاب هام نشر عام 1389 هـ (1969 م) بالقاهرة وهو «تحصيل نظائر القرآن» تأليف محمد بن علي الحكيم الترمذي المتوفى نحو سنة 320 هـ (932م) ، فانه لم يشر اليه، ولو اطلع عليه لاستفاد منه كثيرا كما سنرى ، لان كتاب الحكيم الترمذي — الذي حققه الاستاذ حسني نصر زيدان عن نسخة كتبت في أوائل القرن السادس الهجري وهي محفوظة ضمن مجموعة بمكتبة الاسكندرية البلدية تحت رقم 3585 ج — انما هو شرح ومعارضة لكتاب مقاتل بن سليمان ، ولم يطلع الاستاذ زيدان بدوره على كتاب مقاتل ولم يشر اليه ، ولهذا فقد كنت اعتبره عملا ناقصا لايستكمل الا بالاصل ، وحمدت الله أن ساقتني الاقدار الى مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي فاطلعت على هذا الاصل وهو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» ، وقد بدأ الحكيم الترمذي كتابه بقوله : (الحمد لله رب العالمين ، ولي الحمد وأهله وبعد : فإنا نظرنا في هذا الكتاب المؤلف في «نظائر القرآن» فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه ، فتدبرنا ذلك فاذا التفسير الذي فسره انما اختلفت الالفاظ في تفسيره ، ... الخ) وقد علق المحقق على هذا بقوله :

(يشير بذلك الى سبب تاليفه كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذى بين ايدينا ، وانه وقع فى يده احد الكتب المؤلفة فى نظائر القرآن ولكنها تخالف منهج الترمذى)

ولعل السبب فى ان الحكيم الترمذى لم يصرح باسم المؤلف فى كتابه هو طبيعته فى التاليف كما سنعرض لها ، وربما دل ذلك ايضا على شهرة كتاب مقاتل وقتها.

ولعله من الاولى ان نعرض لحياة مؤلفى الكتابين بتعريف مختصر قبل ان نعرض للكتابين ، ومن اراد التوسع فى معرفة اخبار الرجلين فليرجع الى كتب التراجم القديمة او الدراسات المتخصصة الحديثة كدراسة الدكتور عبد الله محمود شحاته عن «مقاتل بن سليمان » ودراسة الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة المدرس بكلية اصول الدين بالازهر الشريف عن «الحكيم الترمذى» .

ويسترعى انتباهنا لاول وهلة التشابه فى حياة الرجلين رغم اختلاف مشربيهما ورغم ان الزمن يفصل بينهما بنحو قرن كامل ونصف ، كلاهما نشأ فى خراسان وكلاهما اتهم بتهم عديدة كضعف الحديث وانزلاق الاسرائيليات فى كتاباته ، وكلاهما كان له رغم ذلك تاثير قوى فى الفكر الاسلامى برد الشبهات ودفع البدع ، وكلاهما كان يميل للتشيع المعتدل(محبة آل البيت دون الطعن فى اى من الصحابة رضى الله عنهم جميعا) رغم ان الاول «مقاتل بن سليمان» كان سلفيا كلاميا يزعمون انه كان يقول بالتشبيه ويتستر ويتزلف للحكام العباسيين وكان الثانى «الحكيم الترمذى» فقيها محدثا صوفيا ينفر من علم الكلام ويعارض التشيع المتطرف ويبعد عن السياسة والحكام .

ولد ابو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى بمدينة (بلخ) فى خراسان وتوفى بالبصرة سنة 150 هـ . ورغم ان المراجع تكاد تتفق على سنة وفاته الا انها لم تذكر سنة ميلاده وان رجّح الدكتور شحاته انها قد تكون سنة 80 هـ ، وهو نشأ فى (بلخ) وتعلم فيها وكان مقربا من حاكم (بلخ) سالم بن احوز المازنى عامل بنى امية ، وكان فيها ايضا جهم بن صفوان المعتزلى المعطل الذى يقول بنفى الصفات عن الله عز وجل وبالقدر ، ولعل ذلك دفع مقاتل للغلو فى الاتجاه المضاد وهو (التشبيه) وقامت بينهما مناظرات . وقد تحول مقاتل الى مدينة (مرو) وتزوج فيها وبدا تفسيره بها ثم تحول الى العراق فنزل البصرة ودخل بغداد وكانت له منزلة عند الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور وابنه المهدى ثم عاد الى البصرة وتوفى بها ، وقد اشتهر مقاتل بسعة معارفه وكثرة معلوماته ولكنه اتهم بالكذب والتدليس وبغلوه فى التشبيه ، ولهذا امتنع ائمة الحديث عن الرواية عنه ، الا ان الاحاديث الواردة فى كتبه الباقية الى الآن اكثرها فى كتب الصحاح والسنن ،والضعيف فيها بنسبة نادرة، كما تخلو كتبه من التهم التى نسبت اليه ، ويتساءل الدكتور شحاتة : هل قال مقاتل بذلك فى صدر حياته او فى مجادلاته ومناظراته ثم عدل عنها ولم يثبتها فى مؤلفاته ، ام ان رواة كتبه ونساخها قد هذبوها وحذفوا ذلك منها ؟ ام انها كانت مجرد افتراءات من خصومه وحساده ؟ . ثم ان هناك اقوالا ترفع منزلته فى التفسير وتثنى عليه فى الرد على الزنادقة وشرح المتشابه والمشكل من آيات القرآن الكريم ، هذا ويمتاز تفسيره بالبساطة ، وبالاحاطة بمعانى الآيات ونظائرها ، فهو تفسير بيانى للقرآن بالقرآن ، وهو اول من اشار الى «الكليات» فى القرآن الكريم فيقول مثلا : «كل شىء فى القرآن (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يعنى بأمر ربهم» وقد احصى له الدكتور شحاتة 32 كلية على حرف الالف و10 على حرف الباء و5 على حرف التاء . . . الخ فى نحو 248 كلية ، الا ان تفسيره يعيبه خلوه من الاسانيد ووجود الاسرائيليات . واما كتابه «الوجوه والنظائر فى القرآن» فيقول عنه الدكتور شحاتة انه : (يعتبر من امهات كتب اللغة العربية ، وفيه تظهر خصوبة هذه اللغة وثراؤها ، وانها غنية بالاصول والوجوه والنظائر قادرة على ان تستجيب لنهضتنا وان تمدنا بكل ما نحتاج اليه ، والكتاب فى نفس الوقت من امهات المراجع فى علوم القرآن وبيان ثروته اللفظية وإعجازه اللغوى) .

وولد ابو عبد الله محمد بن على الملقب بالحكيم الترمذى بمدينة (ترمذ) المشهورة فى اوائل القرن الثالث الهجرى (نحو 205 هـ) ولم تذكر المراجع التاريخية تاريخ ولادته بالضبط ، وقد اختلف المؤرخون كذلك فى تاريخ وفاته ، الا ان الدراسات الحديثة تبين ان وفاته كانت فى نحو سنة 320 هـ . ويبدو ان والده كان من العلماء اذ انه يروى عنه كثيرا من الاحاديث ، وفى ترجمته لنفسه (بد وشأن ابى عبد الله) يحدثنا انه اشتغل بعلوم عصره وهو فى سن الشباب وفى نحو الثلاثين اشتغل بالتصوف وعلوم القرآن ، وكانت له زوجة صالحة ساعدته على

تهيئة الجو الروحى الصافى له · وقد تعرض فى حياته لفتن كثيرة واتهامات عديده لخصها ابن حجر (الميزان ج 5 ص 308) : (اتهامات بأنه يروى فى كتبه الفظيعة الاحاديث الموضوعة ، وحشاها بالاخبار التى ليست بمروية ولا مسموعة ، وبأنه ادخل فى علم الشريعة ما فارق به الجماعة ، وعلل الامور الشرعية التى لا يعقل معناها بعلل ما اضعفها واوهاها ، وبأنه ادعى الكشف عن الدقائق والأمور الغامضة والحقائق ، حتى خرج بذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق عليه بذلك الطعن والازدراء) ·

بل وصل الامر ان سعوا به الى والى (بلخ) فأخذ عليه الا يتكلم فى (الحب) وانزوى فى بيته لا يرفع راسه من المهانة ، حتى حدثت فتنة سياسية فى البلاد فهرب حساده واجتمع الناس عليه وخرج من عزلته وشاع ذكره وانتشرت كتبه وتبين الناس افتراء اعدائه عليه ، وكاتبه العلماء وكبار الصوفية ، وقد اعتنى المتصوفون بكتبه جيلا بعد جيل حتى وصل الينا معظمها ، واكثرها صنّفاها ردا على اسئلة تلاميذه ، ولم يكن يهمه فيها الا توضيح افكاره معتمدا اعتمادا كبيرا على التحليل اللغوى.

والحكيم الترمذى يعتبر بحق مبتكر ثلاث نظريات جديدة : نظرية متكاملة فى الولاية «ختم الاولياء» ونظرية فى حكمة الاحكام الشرعية «علل الشريعة» **ونظرية لغوية فى ان للالفاظ معنى محددا لا يتغير وان الاسماء سمات المدلولات** «الفروق ومنع الترادف» · ويبدو لى انه حينما قرأ الحكيم الترمذى كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن» لمقاتل بن سليمان الذى حاول فيه أن يبرز أن اللفظ الواحد أو المصطلح يرد على وجوه كثيرة **متباينة حاول حصرها ، رد عليه الحكيم الترمذى** موضحا أن تلك الوجوه المتعددة فى الظاهر انما تتشعب من اصل واحد تدور حوله ، وقد استكمل نظريته هذه فى فهم القرآن الكريم فى كتابه «الفروق ومنع الترادف» ·

واما عن الكتابين فان كتاب مقاتل بن سليمان هو اول ما الف فى هذا النوع من الدراسات بالاجماع ، اذ يقول الزركشى (البرهان ج 1 ص 102) :

(النوع الرابع فى الوجوه والنظائر ، وقد صنف فيه قديما مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتاخرين ابن الزاغونى ، وابو الفرج بن الجوزى ، والدمغانى الواعظ ، وابو الحسين بن فارس . . . فالوجوه : اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معانى كلفظ «الهدى» له سبعة عشر معنى فى القرآن بمعنى البيان كقوله تعالى « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » وبمعنى الدين « إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ » وبمعنى الايمان « وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى » والنظائر : كالالفاظ المتواطئة) .

والنسخة التى حققها الدكتور شحاته يوجد فى اول **صفحة منها بخط الناسخ «هذا كتاب الاشباه والنظائر** فى تفسير القرآن العظيم للامام مقاتل بن سليمان «وفى الصفحة الثانية» مما الف ابو نصر من **وجوه** القرآن عن مقاتل بن سليمان مما استخرج «وفى نهاية الجزء **الاول» تم الجزء الاول من الاشباه والنظائر لمقاتل بن** سليمان رحمه الله» وفى نهاية الجزء الثانى «تم **الوجوه** والنظائر بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على نبيه محمد وآله»

ومن هذا يتبين أن كلمة (النظائر) متفق عليها **ويذكرها الحكيم الترمذى منفردة ، وانما وقع الاختلاف** فى كلمة (الوجوه) بدل (الاشباه) وان كان يبدو لى ان كلمة (الوجوه) اقرب ، حيث انه يبدأ كل مادة بقوله : **«تفسير (كذا) على (كذا) وجه» وتضم هذه النسخة 185 مادة متفرقة بلغ عدد وجوهها جملة 764 ، تبدأ بمادة (الهدى) وتنتهى بمادة (الفسق) وهى مجموعة على غير نسق معروف لا من حيث أصل الكلمة ولا من حيث ترتيبها** فى المصحف ولا حسب الحروف الابجدية فى ترتيب المعجم، وهو يأتى باللفظ من القرآن الكريم ويحاول أن يحصر عدد أوجه معانيه ويستشهد بمجموعة فقط من الآيات — وليست كلها — التى ورد فيها هذا اللفظ بالمعنى الذى حدده والتفسير الذى ارتآه ، وبديهى أن هذا مجرد اجتهاد من المؤلف اذ أن عدد الوجوه الذى ذكره ليس موقوفا ولا مطلقا ، كما أن معانى الوجوه التى ذكرها يمكن ايضا الاختلاف فيها ، ولم يشر مقاتل الى اى ارتباط يربط بين الوجوه المختلفة للفظ الواحد ، وهذا **ما تبينه الحكيم الترمذى بعد ذلك فلم يلق اهمية كبيرة** لعدد الوجوه فى حد ذاتها واستفرغ جهده فى بيان اصل المعنى للمصطلح ، وما يشتق منه للوجوه المختلفة ، وقد لاحظت أن بعض الوجوه قد فسرها مقاتل فى معان ضيقة جدا قد لا يقره عليها الكثيرون ، ويبدو لنا ذلك فى المادة رقم 78 — «الارض» فقد فسرها على سبعة وجوه جعل اول وجه منها : «ارض الجنة» فسر بها آية سورة الزمر **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ**

العَامِلِين) وآية سورة الانبياء (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) · وفى الوجه الثانى : الارض يعنى «الارض المقدسة» بالشام خاصة ، واذا صدق هذا فى آية سورة الانبياء (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) فان آية سورة الأعراف (وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) لها معنى نعرفه اوسع كثيرا مما ذكره، وهذا ينطبق ايضا على الوجه الثالث : الارض يعنى «ارض المدينة» خاصة واستشهد بآية سورة العنكبوت (يَاعِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) وآية سورة النساء (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) يعنى أرض المدينة ، ولكن الثابت ان الهجرة قد تمت أولا الى ارض الحبشة كذلك ، فالاولى هنا ان الارض بمعناها الواسع ، وفى الوجه الرابع : الارض يعنى «أرض مكة» خاصة ، واستشهد بآية سورة الرعد (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغَالِبُونَ) ونحن نرى لهذه الآية الكريمة معنى علميا يشير الى طغيان البحر على أطراف اليابس ووقوف الانسان أمامه شبه عاجز ،وفى الوجه الخامس : الارض يعنى «أرض مصر»خاصة ، واستشهد بآيات فى سورة يوسف (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ) وَ (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ) ... الخ ، مع انه من الثابت أن سلطان مصر وقتها كان مبسوطا على رقعة كبيرة من الارض خارج حدود مصر ، ويرى البعض ان لفظ (مصر) كان يطلق وقتها كلفظ (المدينة) حاليا ومنه الكلمة العربية (الأمصار) وقول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل (اهْبِطُوا مِصْراً) ، وبمعنى مصر فسر (الارض) ايضا فى آية سورة الاعراف (إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ) مع ان هذا ينطبق على الارض عامة فى كل العصور ، وفى الوجه السادس : الارض يعنى «أرض العرب او ارض المسلمين» وفسر بذلك آية سورة الكهف (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) مع ان الثابت أن هذا كان فى زمن ذى القرنين والمقصود هنا البلدان التى كانت تجاورهم عند السدين ، والوجه السابع : الارض يعنى جميع الارض «الارضين» وفيها آيات كثيرة نحو آية سورة الانعام (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ) · هذا ولفظ (الارض) قد ورد فى القرآن الكريم فى 461 موضعا اغلبها يعنى جميع الارض ، وبعضها لها اوجه اخرى غير التى ذكرها ، مثل «أرض بنى قريظة» فى آية سورة الاحزاب (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا) ، وياحبذا لو تفرغ لهذه الدراسة الشيقة بعض الباحثين ليشرح كل الوجوه فى كل الآيات القرآنية ، وهو لاشك مجهود ضخم ولكنه يستحق ما يتجشم فى سبيله من عناء ·

وبمقارنتنا كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن» لمقاتل بن سليمان مع كتاب «تحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذى وجدنا أن كتاب الترمذى هو شرح ورد على نفس الكتاب الاول فهو يبدأ بشرح المادة الأولى (الهدى) ويوضح اختلاف الالفاظ فى وجوهها التى تتشعب من أصل واحد فيقول · (... ومرجع ذلك الى كلمة واحدة ، وانما تشعبت حتى اختلفت الفاظها الظاهرة للاحوال التى انما نطق الكتاب بتلك الالفاظ من اجل الحادث فى ذلك الوقت وذلك مثل قوله (قول مقاتل): **الهدى** ، فقد جاءت على ثمانية عشر وجها ، فالحاصل من هذه الكلمة كلمة واحدة فقط ، وذلك أن الهدى : هو الميل ، ويقال فى اللغة : رايت فلانا يتهادى فى مشيته اى يتمايل ، ومنه قوله تعالى (على لسان بنى اسرائيل) (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) اى ملنا اليك ، ومنه سميت الهدية هدية لانها تميل بالقلب ، والقلب أمير على الجوارح ، فاذا هداه الله لنوره ـ اى اماله اليه لنوره ـ اهتدى : اى استمال ، وقد قال فى تنزيله (يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) فهذا أصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسيره (تفسير مقاتل) الهدى : (البيان) وانما صار الهدي بيانا فى ذلك المكان ، لان البيان اذا وضع على القلب بنور العلم ، مد ذلك النور القلب الى ذلك الشىء واماله اليه · **الاسلام** ، وانما صار الهدى فى المكان الآخر الاسلام لانه اذا مال القلب بذلك النور الى ذلك الشىء الذى تبين له : انقاد العبد واسلم ... الخ».

ثم تتابع المواد بنفس الترتيب الذى ورد فى كتاب مقاتل الا اننا نفاجأ بعد المادة رقم 9 ـ السوء ان 25 مادة متتالية (**الخزى ـ باءوا ـ الرحمة ـ الفرقان ـ قانتون ـ الذكر ـ الخوف ـ الصلاة ـ الناس ـ كَتَبَ ـ الخير ـ الخيانة ـ الامام ـ الأمة ـ الشقاق الوجه ـ الفتنة ـ العدوان ـ الاعتداء ـ الفرض ـ العفو ـ الطهور ـ إنّ ـ انى ـ الظن**) قد شرحها الحكيم الترمذى ورد عليها ، ولا توجد فى النسخة التى بين ايدينا من كتاب مقاتل ، ولما كان من المؤكد أن هذه المواد الخمس والعشرين كانت توجد فى النسخة التى قراها الحكيم الترمذى فاننا لاندرى هل

سقطت سهوا من الناسخ لكتاب مقاتل اثناء نسخه أم انها نسخة مختلفة ؟ ثم نجد المادة رقم 35 فى كتاب الحكيم الترمذى وهى **(الحكمة)** موجودة برقم 12 فى كتاب مقاتل يسبقها مادتان برقم 10 ــ **الحسنة والسيئة** و11 ــ **الحسنى** لاتوجدان فى كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لاتوجد المادة رقم 13 ــ **الأمر** اما المادة رقم 14 ــ **المعروف** فتاتى بعد **(الحكمة)** برقم 36 فى كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لا نجد فى كتاب الترمذى المواد التالية:

16 ــ **الظلمات والنور** ، 17 ــ **الظلمات** ، 19 ــ **الظلم** ، 22 ــ **الطيبات** ، 23 ــ **الطيب والخبيث** ، 33 **اقام الصلاة** ، 42 ــ **هل** (التى نجد بدلا منها مادة **(الردى)** برقم 57 فى كتاب الحكيم الترمذى وهى لاتوجد فى كتاب مقاتل) ، 62 ــ **سريع** ، 67 ــ **الفرار** واخيرا 68 ــ **جعلوا** .

واما المادة رقم 69 فى كتاب مقاتل وهى **(السبيل)** فنجدها المادة الاخيرة من كتاب الحكيم الترمذى برقم 81 ، وتستمر المواد بعد ذلك فى كتاب مقاتل تتوالى حتى ينتهى الجزء الأول عند المادة رقم 82 ــ **النشور** واخيرا ينتهى الكتاب بالمادة رقم 185 ــ **الفسق** .

وبهذا يظهر لنا ان كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذى بين ايدينا ليس الا شرحا ومعارضة لجزء واحد فقط من كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن» وتبقى **اسئلة تنتظر الاجابة : هل اكمل الحكيم الترمذى شرح** الكتاب كله ولم يصلنا الا الجزء الاول منه ؟ وهل لم يصله منه غيره ؟ ام انه اكتفى بشرح الجزء الاول منه فقط ؟ ثم ما هو تفسير غياب 25 مادة جملة واحدة فى **النسخة التى بين ايدينا من كتاب مقاتل مثبتة فى كتاب الحكيم الترمذى يقابلها غياب نفس العدد تقريبا من مواد متفرقة فى كتاب الحكيم الترمذى ومثبتة فى نسخة** كتاب مقاتل التى بين ايدينا ؟

ربما امكن تعليل الغياب الاخير بان الحكيم الترمذى **قد تخطى بعض الالفاظ (المواد) فلم يعلق عليها، وان كان هذا التعليل محتملا ، الا اننى اجده احيانا** يعلق على بعض المواد فى سطور ثلاثة فقط ولا يتركها **مثل مواد : اذنى والمحصنات والسوى والاسباب ،** كما ان الترتيب المنتظم والتعليق المتوالى على المواد يجعلنى اقطع بان الكتاب لو كان قد وصل الى الحكيم **الترمذى فى الصورة التى وصلتنا ، فلا بد انه قد شرحه كاملا ، وقد لاحظنا ان بعض المواد تخلف قليلا فى كتاب** الحكيم الترمذى عن نظيرها فى كتاب مقاتل **مثل :**

(اللباس) يقابلها **(اللبس)** ، **(اطمأن)** يقابلها **(تطمئن)** ، **(احس)** يقابلها **(الحس)** ، **(الباساء والضراء)** يقابلها **(الضر)** ، **(الشهيد)** يقابلها **الاشهاد)** ((الخاسرون)) يقابلها ((خسران)) ، ((التقوى)) يقابلها ((اتقوا)) ، ((السوى)) يقابلها ((السواء)) ، ((بغير حساب)) يقابلها ((الحساب)) ، كما ان مادة ((الايمان)) تاتى قبل مادة ((الشكر)) فى كتاب الحكيم الترمذى ، وان كان هذا لا يغير من المعنى ، الا ان كل هذا يرجح ان النسخة التى وصلت الحكيم الترمذى من كتاب مقاتل بن سليمان فى «نظائر القرآن» هى غير النسخة التى بين ايدينا الآن ، وسأسوق فى النهاية مثالا واحدا من كتاب « مقاتل بن سليمان» مع ما يقابله من شروح وتعليق «الحكيم الترمذى» يوضح منهج كل منهما :

يقول مقاتل :

تفسير **الطاغوت** على ثلاثة وجوه :

فوجه منها الطاغوت يعنى **الشيطان** ذلك قوله فى (سورة) البقرة (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) يعنى بالطاغوت الشيطان ، نظيرها ، فى (سورة) النساء حيث يقول : (والذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يعنى فى طاعة الشيطان ، نظيرها ايضا فى المائدة حيث يقول (وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) يعنى الشيطان .

والوجه الثانى : الطاغوت يعنى الأوثان التى تعبد من دون الله فذلك قوله فى سورة النحل (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ). **يعنى واجتنبوا عبادة الاوثان ، نظيرها فى الزمر حيث** يقول (والذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) يعنى الذين اجتنبوا عبادة الاوثان (وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِم) .

والوجه الثالث : الطاغوت يعنى **كعب بن الأشرف** اليهودى فذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (والذِين كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُم الطَّاغُوتُ) يعنى كعب (يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) ، نظيرها فى النساء حيث يقول (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكتابِ) يعنى اليهود (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغوتِ) يعنى كعب بن الاشرف .

ويقول الحكيم الترمذى :

(واما قوله «الطاغوت» على كذا وجه : فالطاغوت مشتق من الطغيان ، أخرجه على قالب «فاعول» ، وهو المجاوزة ، فاذا قوى الشىء ووفرت نفسه : كان **على قالب «فاعول» فلذلك صارت تاويله الشيطان ، وفى** مكان آخر **الكاهن ، وفى مكان آخر كعب بن الاشرف** اليهودى) . **فالطاغوت :** هو الطغيان على البشر الذى

يطاع من دون الله 1 ــ كالشياطين الطاغين الذين يعملون فى الخفاء. 2 ــ او كالكهان الدجاجلة على اختلاف انواعهم : سواء اكانوا كهنة لأوثان جمادية ساكنة ، او حية متحركة ، او وهمية خيالية ، والاوثان فى حد ذاتها لاتضر ولاتنفع ولكنها لعبة فى طواغيت الكهنة ، ولعل اول مرة فى التاريخ برهن فيها الكهنة على سلطانهم يوم دعا «آمنحتب الرابع» (إخناتون) لثورته «التوحيدية» منذ نحو 33 قرنا ، فانتقم كهنة (آمون) بتلطيخ سمعته حيا وميتا · 3 ــ او كدعاة الحقد والعصبية ويربط بين هذه الصور الثلاث للطاغوت خيط دقيق هو الإلحاد والعمل بالكذب والخداع .

ومن هذا نرى أن الحكيم الترمذى يوضح أصل المصطلح فى دقة بالغة يظهر منها اشتقاقات كل صور الوجوه للفظ ، ولا يتناقض التخصيص مع العموم .

ليت الحظ يسعفنا بالعثور علي نسخ اخرى من كتاب «الوجوه والنظائر» تستكمل نقص النسخة الحاضرة ، والعثور على الجزء الثانى من شروح الحكيم الترمذى ليطبعا معا فى مجلد واحد ، اذ انه اصل التفسير البيانى للقرآن العظيم ، ولو توفر بعض الباحثين المخلصين للمضي فى هذه الدراسة قُدُماً فانهم سيسهمون بلا شك فى اثراء المعرفة الانسانية.·

سياسة الادماج الاستعماري واللغة العربية في تونس

للدكتور محمود عبد المولى

في منتصف القرن التاسع عشر انتصرت فرنسا باسم أوربا المسيحية على القطر الجزائري الشقيق. وكان من نتائج هذا الانتصار تطبيق سياسة الادماج والفرنسة في المغرب العربي عامة وتونس خاصة مع اختلاف بسيط في استعمال الوسائل والطرق المؤدية الى نفس الغرض ان هذه السياسة الفرنسية قد نجحت الى حد بعيد في خلق مشاكل وفوضى فكرية ولغوية واجتماعية وتربوية في بلدان المغرب العربي الثلاثة :

كان المخطط الاستعماري الفرنسي ، الى جانب الاستغلال الرأسمالي والبشري ، يرمي الى افراغ الشخصية التونسية في مضمونها الاجتماعي والقومي لاحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها ، وقد انكب على اعداد طرائق هذا المخطط الجهنمي . اساتذة الاستعمار الفرنسي المتخصصون في العلوم الانسانية عامة واللغة والحضارة العربية والاسلامية خاصة ، والعارفون بدقة التركيب النفسي والاجتماعي للفرد .

وبعد انتصار فرنسا باسم أوربا المسيحية على القطر الجزائري نصبت الحماية على القطر التونسي . وما يقال عن تونس يصدق كثيرا على المغرب الاقصى فيما يخص سياسة الادماج التي سلكتها الدولة الحامية.

« فباسم نعلة غامضة ، دعيت « بالحماية » قلبت سلطات الاستعمار الفرنسي الاطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وحاولت قلب الاطار الثقافي لشعب تونس الذي قهر بقوة الحديد والنار واستسلم للامر الواقع . . .

ففي خلال 1881 فرضت فرنسا سياسة تعليمية ترمي الى غاية الادماج (l'assimilation) وافضل وسيلة لهذا الادماج هي المدرسة وخاصة المدرسة الابتدائية كما صرحت بذلك احدى الشخصيات الفرنسية ؛ لذلك لا بد من استيراد المدرسة الفرنسية وغرسها في بلدان ما وراء البحار ، انها مدرسة فرنسا ببرامجها ونظامها التربوي ومعلميها وكتبها بنفس عناوين فصول البرامج المقررة في مدارس فرنسا الام (. .)

انها مدرسة فرنسا بوسيلة ادماجها القومية ، التعليم فيها بالفرنسية فتصبح من ثم اللغات الوطنية مهجورة واكثر من ذلك ، محتقرة ، واذا ما استطاعت اشكال التعليم الوطني ان تبقى فانها تفقد اذ ذاك كل قدرتها وفعاليتها .»

وفعلا حاولت سلطات الدولة الحامية ان تطبق تلك السياسة **فاول مسألة جابهتها بحزم هي مشكلة اللغة** ولكنها احتارت بين حلين : فأما الادماج الكامل وبالقوة لشعب تونس في الامة الفرنسية ، كما حاولت تطبيقه في الجزائر ، واما **مسخ الشخصية الوطنية ونسف قواعدها من لغة ودين واقتصاد** . . . كخطوة أولى للادماج ، واخيرا وقع اختيارها على الطريقة الثانية . (1)

(1) انظر : Thaalbî : La Tunisie Martyre, Paris, Jouve et Cie, 1920, p. 37.

وعلى الرغم من المظاهرات الشعبية الصاخبة **تمكن المستعمر من ان يجعل فى النهاية اللغة الفرنسية لغة الادارة والتعليم** الرسمية بعد ان نقلت تدريجيا الدواوين الى اللغة الفرنسية **واصبحت بالتالى اللغة العربية فى صف اللغات المميزة كانها لغة اجنبية** ·

هذا اذا استثنينا بعض تلك المؤسسات التعليمية والقضائية التى لا تزال تحافظ حتى اليوم على اللغة العربية ·

كانت السياسة الاستعمارية ترمى من وراء هذه الفرنسة الى **خلق جيل تونسى يكون بعيدا كل البعد عن معرفة لغته وثقافته الوطنية** · وسوف لا يتم تكوين هذا الجيل الجديد حتى تصبح القطيعة ممكنة بينه وبين واقعه وشعبه وبين الماضى والحاضر عندئذ يفقد كل اتصال مثمر بين الشعب من جهة ، وبين ابنائه المستنيرين من جهة اخرى فتنقطع صلة الرحم ، وجميع امكانيات الاخذ والعطاء المثمرة بين الفريقين عند ذلك يصبح من السهل دمج العرب فى الامة الفرنسية « الحامية » .

لكن الاستعمار نسى ردود الفعل العنيفة لشعب تونس ومثقفيه المتمسكين بلغتهم وبثقافتهم الوطنية ، لقد ناضل الشعب التونسى بكل عنف وقوة لعرقلة وابطال السياسة الفرنسية فقاطع اول الامر المدارس الفرنسية واعتبرها خطرة ومضرة لتربية ابنائه ، اليست على كل حال ، مدارس الكافرين بالله ؟ ·

وحتى يتمكن من نشر لغته وثقافته على نطاق واسع عمد المستعمر الى استخدام جميع وسائل الضغط المادية والبسيكولوجية ، ومن ضمن هذه الوسائل الجهنمية استخدم طريقة معقدة جدا ومرحلية :

كان العدو الاستعمارى ذكيا فى انتقاء طريقةالانتداب للخدمة العسكرية وهى تعتمد على الاغراء والقوة فى آن واحد : فبعد ان اتخذ من الحاضرة نقطة ارتكاز ادارى وثقافى فى الشمال جعل الجنوب منطقة عسكرية · اعفى اولا ابناء العاصمة من الخدمة العسكرية وذلك تكريما لبعض العائلات على تواطئها وعدم مقاومتها للحماية ، وتشجيعا لابنائها على الدخول الى المدارس الفرنسية ، كما اعفى ابناء الجنوب من الخدمة العسكرية انهاء لثوراتهم ومشاكلهم ، اما الباقى ، الوسط والساحل والجهات الاخرى فهى غير معفاة من الخدمة العسكرية وبذلك وجد الشعب التونسى نفسه بين فكين حاديين او بين قوتين ارهابيتين مرتكزتين فى الشمال والجنوب ·

ان الشعب التونسى بصفته شعبا عربيا مسلما ، يعتبر أن الخدمة العسكرية تحت العلم المسيحى المثلث علم الكفار ، بمنزلة الكارثة العظمى والطاقة الكبرى ، والمستعمر يعرف هذا الشعور معرفة دقيقة ، فقد استخدم المستعمر كل الوسائل لنشر لغته مثل نظام التفرقة والتمييز بين الفئات السكانية والجهوية باعفاء البعض وعدم اعفاء البعض الآخر من الخدمة العسكرية، وكذلك اعفاء كل من يحصل على الشهادة الابتدائية . . ان هذه الأساليب الجهنمية اجبرت بعض التونسيين على ادخال ابنائهم الى المدارس الفرنسية ، املا فى الاعفاء من الخدمة العسكرية واذا لم يتحصل الشاب التونسى على الشهادة ولم تسعفه القرعة فله امل اخير وهو التعويض بدفع مقدار مهم من المال ·

وعلى الرغم من أن اغلبية العائلات التونسية آنذاك كانت قليلة الموارد الا انها كانت تضحى ، فى اغلب الأحيان ، ببيع متاعها واراضيها للمعمرين الفرنسيين وغيرهم حتى تتمكن من دفع غائلة الكارثة ، كارثة الخدمة العسكرية ، عن ابنائها ، كل هذه الأشياء ساعدت كثيرا على نشر اللغة الفرنسية كما ساعدت التوسع الاستعمارى الرأسمالى على حساب جماهير الشعب الواسعة ·

امام هذه الأشياء جميعا ، وامام سياسة الادماج والفرنسة **لعبت الثقافة القومية عن طريق اللغة العربية والدين الاسلامى دورا لا يضاهى كانت الزيتونة والصادقية والخلدونية معقلا منيعا للدين واللغة والثقافة العربية التى هى اخص مقومات الأمة وحجر الزاوية التى يبنى عليه صرح مجدها وعزها ،** لقد عرقلت هذه المؤسسات الوطنية مشاريع ادارة التعليم العمومى الاستعمارية ومناورات مديرها «ماشويل ولوسيان باى» وغيرهما كما قاومت بكل شدة جميع المشاريع الاستعمارية الأخرى مقاومة **دفعت بخيرة ابنائها ورجالها الى الصفوف الأمامية من المعركة الوطنية لتخليص المجتمع التونسى من التبعية الثقافية** والاستغلال الاقتصادى والبشرى ولا ننكر ما قامت به **المدارس القرآنية العصرية والمدارس العربية الأخرى فى نشر التعليم باللغة العربية** ·

والجدير بالذكر ايضا أن الخلدونية قد لعبت دورا فعالا فى **تلقين العلوم العصرية عن طريق اللغة العربية ،** الى جانب تدريس اللغات الحية كلغات ، ولا نغفل ايضا عن **ذكر تجربة الشعبة العصرية الرائعة التى كانت اثناء الحماية اول تجربة تعريب ناجحة بعد تجربة الخلدونية الرائدة** ·

دائـــرة الـــوحـدة
نظـريـة جديدة لاوزان الشعر

للأستاذ عبدالصاحب المختار
بغـــداد

اساس النظرية الجديدة فى اوزان الشعـــر ان اصل الالحان (الموازين) اربعة اصوات كل صـــوت يتالف من حركة فسكون وقد رمز له بالنقرة الخفيفة (دن) دال متحرك ونون ساكن فيكون المعيار الاساسى لاوزان الشعر اجمع هو (دن دن دن دن) وهو وزن بحـــر دقّ الجـــرس .

يابن الدنيا مهـــلا مهـــلا زن مـــا ياتى وزنا وزنا
يب نل دنيا / مهلن مهلن زن ما ياتى / وزنن وزنن
دن دن دن دن / دن دن دن دن
دن دن دن دن / بن دن دن دن

فبحذف ساكن النقرة تتولد نقرة صامتة بحركـــة واحدة (د) وبتحريك الساكن وقتيا باحدى علامـــات التحرك الضمة أو الكسرة او الفتحة تتولد نقرة ثقيلة (دنَ) ، برفع الحركة عنها تعود لاصلها (دن) وهى مساوية للاخيرة بالزمن والقوة .

فلو وضعنا دائرة تبدا بنقـــرة الاساس (دن) ووضعنا الى يمينها المجموعة الاولى فى نصف دائرة ومن يسارها المجموعة الثانية بنصف دائرة متغايرى الاتجاه بحيث يلتقيان بانتهائها نكون قد حصلنا على دائرة طبيعية ازلية لا يد لاحد فى وجودها تضم اوزان الشعر اجمـــع ما نظم عليها وما اهمل تضـــم الاضاريب والاعاريض والعلل كافة على وجه الانسجام وتتالف من 29 نقرة عدد الحروف الهجائية كما وردت فى المسند وعدد ايام الشهر تضم سبعة الحان اساسها الحركة والسكون بنقرة خفيفة او صامتة تتولد منها النقرة الثقيلة بوضع علامة الفتحة على احداها على ان تجتمع اربع حركات على التوالى وهى الدائرة (دائرة الوحدة) حيث تقرا منها الاوزان .

تصحح هذه الدائرة اوزان الشعر وتضيف اوزانا اليه جديدة وتختصر قواعد الزحاف والعلل وتصـــون شعر القدامى كمعلقة الابرص وامرىء القيس الخ . وتصلح قانونا لفنون اخرى كالموسيقى والغناء .

فنظرية الاستاذ عبد الصاحب المختار قائمة على منطق سليم كما تاكد ذلك فى قرار لجنة الادب بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بتاريخ 16 / 11 / 1977 وقرار لجنة جامعة بغداد رقم 2938 بتاريخ 29 / 12 / 1976 وغيرهمـــا مـــن الهيـــآت .

ونحن نهنىء الاخ الاستاذ على هذا الاسهام القيم الموفق فى دعم لغة الضاد وابراز مدى تساوق وتواكب اصـــولهـــا وقـــواعـــدهـــا .

دراسات تعريبية ومعجمية

الصفحة

1 ــ تعريب العلوم الانسانية فى التعليم الجامعى
للدكتور رشدى فكار 127

2 ــ التعريب ومراعاة جمال العربينة واوزانها
للاستاذ احمد عمار 134

3 ــ معالجة التعريب فى العلوم الهندسية
للدكتور على محمد كامل 135

4 ــ الفارابى اللغوى (2)
للدكتور احمد مختار عمر 147

5 ــ المعجم العربى لمصطلحات العمل 175

6 ــ مفهوم تنسيق **تعريب** 176

7 ــ معجم التربية والتعليم فى الميزان 179

تعريب العلوم الانسانية في التعليم الجامعي

دراسة تحليلية لأبعادها ومراحلها من المنطلق إلى التنسيق إلى التوحيد

للدكتور رشدي فكار

تمهيد : التعريب قضية مصيرية بالنسبة لعالمنا العربي وليست هامشية :

غنى عن التعريف اننا نعيش في عصر تحدد فيه معايير تقدم الامم بقدر ما لديها من عطاء علمي ، ومعرفة تكنولوجية ، وتبني لخصائص الارتقاء ، دون ان تفقد ذاتيتها واصالتها ، ولقد استطاعت بعض المجتمعات ان تتصدر حاليا ، لمجرد انها تملك وسائل التقدم هذه ؛ اي الارتكاز اساسا على العلم ، والتكنولوجيا ، والصناعة ، دون ان تكون لها ثروات طبيعية او بشرية؛ بينما عالمنا العربي وقد حباه الله بالثورات الطبيعية والبشرية ، وخصه بذاتية انسانية ، اثمرت حضارتها على الارض عبر قرون طوال ، متوعك في خطواته الوظيفية وفي تبني معايير التقدم ، فهو يواجه حاليا من بين ما يواجه من مشاكل وظيفية قضية الاولويات بمعنى كيفية تصنيف اشكالياته بين اساسية حيوية بها يبدأ ، وثانوية غير فورية تتحمل الانتظار ولا تتعقد مع الزمن .

ولا شك ان اشكالية التعريب في محيط العلوم ، والتربية ، والثقافة بصفة عامة في تصورنا تتصدر من بين الاشكاليات الاساسية الحيوية الفورية لعالمنا العربي ، باعتبار ان عوامل الاعاقة لا تتجسد بالضرورة في عدم عطاء طبيعة ارضه او مقومات حضارته او ذاتية البشرية ، بقدر ما تتجسد في توعكه حيال امتلاك وسائل تقدم العصر لا اسسه وجوهره لانه مالك لها ؛ ونعني بالوسائل فاعلية العلوم وتوظيفها بتحديد مضامينها ، واكتساب المعرفة التكنولوجية وتطبيقها ، بعد استئناسها في شكل فوري قادر على استغلال خيرات الطبيعة ، وتفجير طاقات عطاء الانسان لا سلبياته وهذا لا يتاتى الا بفضل استيعاب موضوعي لقدرات العلوم وواقع التكنولوجيا في هذا العصر نظريا ، وعمليا ، وتطبيقيا .

ولا جدال ان الخطوات التي قطعت في طريق التعريب تبشر بالخير ، فبعد الاجيال السابقة التي ادت دورها في حدود متطلباتها التي املتها الضرورة وبجهد فردي ، جاءت انشطة المؤسسات الثقافية والاكاديمية لتؤهل لارضية التعريب التي تحمل مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، رغم امكاناته المحدودة مسؤولياتها بتنسيقها ومنهجتها لتعطي باكورة العمل الجاد في اطار علوم الطبيعة في شكل المعجم الاول الموحد . وهذا بدوره يدعو الى المزيد من تكثيف المجهودات الواعية المتبصرة بعمق في قضية التعريب انطلاقا من الشعور بالمسؤولية لدى كل مثقف عربي امام هذه القضية المصيرية .

والتزاما منا بهذا المبدأ نقدم ، من خلال هذا العرض المركز ، تصورنا على ضوء تجربتنا الجامعية ، وخبرتنا المتواضعة في علوم الانسان ، لاشكالية التعريب في هذه العلوم ، مبتدئين بطرح الاشكالية وابعادها لننتقل الى تحديد مراحلها المختلفة من مرحلة المنطلق بمعطياتها ومجازفاتها التي املتها الضرورة ، ما لها وما

عليها ، الى مرحلة التنسيق المنهجي وكيفية التغلب على العوائق على ضوء الامكانات الميسرة الى مرحلة التوحيد كهدف حتمي منشود للنهوض بأمتنا وتحقيق تقدمها باستعادة مجدها التليد علميا .

المبحث الاول

طرح اشكالية تعريب مصطلحات علوم الانسان من خلال ابعادها المختلفة

منطلق الاشكالية فرضته الضرورة واملته الحاجة :

اذ من المعروف انه مع ظهور المجلات الثقافية في العالم العربي منذ القرن الماضي والتطلع الى الفكر الغربي ومحاولة التعرف على بعض مظاهره ، ثم مع تأسيس الجامعات العربية ، والرغبة في تبني المعطيات الاكاديمية المعاصرة في الجامعات الغربية ، بدأت بعض هذه المعطيات فلسفية ، وعلمية ، وتكنولوجية تأخذ طريقها الى ثقافتنا العربية ، سواء في شكل مصطلحات معربة او مترجمة ، او في شكل مضامين تأثر بها المثقفون . وكما كان الحال في تجربة سابقة عرفتها امتنا من قبل حين الاحتكاك بفكر أجنبي تمثل في الحضارة الاغريقية وما حولها ، فقد تباينت المواقف في المحيط الفكري على مستوى الشكل والمضمون ، بين متحمس متقبل لها قلبا وقالبا ، وبين رافض لها شكلا ومضمونا ، وبين موفق بين القبول والرفض ، متقبل للشكل قائل بالمواءمة مع المضمون الحضاري العربي المسلم ، او متقبل للمضمون الاغريقي قائل بشكلية المواءمة على مستوى القوالب والصياغة العربية الاسلامية .

غير أنه يلاحظ في تجربتنا التاريخية مع الحضارة الاغريقية وما حولها أنها جاءت في وقت كان جسد الامة العربية الاسلامية في قمة اشعاعه وعطائه فاستأنس الاحتكاك وروضه ليخضعه للمضامين الاسلامية تفنيدا او تعزيزا ولم نجد في المحيط الفكري آنذاك مزيفا او متنكرا لحضارته الاسلامية العربية ، وانما كانت الاشكالية منصبة على مستوى اوليات النهج بين الالتزام والمرونة ، بين الوحي وقداسته والعقل والاحتكام اليه في اطار التكامل والعطاء . فلم تحل المضامين الاغريقية محل المضامين الاسلامية ، ولم تصبح المصطلحات الاغريقية وسيلة لتحريف لغتنا العملاقة وتهرها .

وكان ما كان من مواجهات رصينة في مشرق امتنا العباسي ومغرب امتنا الاندلسي ، وخرجت حضارتنا من التجربة (من الغزالي الى ابن رشد) من الالتزام الى مرونة الاحتكام العقلي ، محصنة مشرقة معطاءة غزت بعبقريتها وفاعليتها جذور حضارة الغرب التي تعيش اليوم ، والتي جاءت الينا تعيد كرة الفكر الاغريقي ، مع الفارق بين الامس واليوم ، فأمتنا حاليا تعيش التجربة وجسدها مسخن بالجراح من ضربات كيلت لها ذات اليمين وذات اليسار ، ومع هذا عليها ان تخوض مواجهة الاحتكاك بالفكر الاجنبي متجاوزة لجروحها ومتكسبة لوظائف حضارة العصر . دون ان تنتقل اليها جراثيم تقيح جروحها هذه ، وتعقد لها فوريه الالتئام .

فمواجهة اليوم اذن لا تختلف عن مواجهة الامس الا في مدى قدرة جسد امتنا على تكيف الاحتكاك لصالحه ، ولما فيه تدعيم لذاتيته وأصالته . لا اهتزازها او اذابتها ، لان منطلق التجربة المعاصرة في مرحلتها الاولى منذ مشارف القرن الماضي ، رغم ما قدم من ايجابيات نجده في محيط التعريب قد تحكمت فيه العفوية وأملت عليه الضرورة سلوكا جزافيا ارتجاليا لم يخضع لتقنين التخصص والاختصاص ، ولم يميز بين التعريب ومضمونه ، ولا بين ايجابياته وسلبياته في النهاية ، وهذا ما سوف نجمله في المبحث التالي من هذا العرض .

المبحث الثاني

مرحلة المنطلق للتعريب المعاصر

ما لها وما عليها

ارتكزت مرحلة منطلق الاحتكاك بالفكر الاجنبي المعاصر منذ بدايتها على الجهد الفردي ، والعمل الشخصي ، والاجتهاد العفوي ، ولم يك منتظرا منها اكثر من ذلك (اذا ما استثنينا التجربة الجادة في الترجمة لرفاعة الطحطاوي في مصر عبر القرن الماضي كما اشرنا الى ذلك تفصيلا في مؤلفنا عن **اصول العلاقات الثقافية بين فرنسا والعالم العربي** المنشور في باريس بالفرنسية) اذا ما وضعت في اطارها التاريخي ، حيث الاستعمار جاثم على جسد امتنا في مشرقها ومغربها ، ولم يترك لها امكانات التنفس الا بحسبان ، حرصا على مصالحه واستمرارية استغلاله ، فما وصل الينا من جهد في ميدان المجلات الثقافية العربية التي اهتمت بالفكر الغربي منذ القرن الماضي ، او ما تم في الجامعات العربية بعد تأسيسها يبرز لنا مدى تحكم الضرورة ، في تعريب المصطلحات شكلا ومضمونا ، باعتبار ان المصطلحات هي مفاتيح الفكر ومعالمه .

فرأينا في محيط الفكر العربي الحديث ما عاشته امتنا من قبل حين مواجهة الفكر الاجنبي ، بين متحمس له ومتبنى دون تبصر ، وبين رافض له ملتزم بأرضيته الحضارية العربية الاسلامية لا تزمتا ولكن خشية من مقنعات الاستعمار الرابط على ارضه وخلفياته ، فعداء الاستعمار بالنسبة للاتجاه الرافض كل لا يتجزأ وبين اتجاه ثالث توالد بعد ذلك على ضوء الاتجاهين السابقين رغم مرونته فهو ملتزم بجوهر حضارته ، ولكنه متفتح على حضارة الآخرين . وتاريخنا الفكري الحديث يعطي لنا الكثير حول هذا الموضوع ، غير اننا نكتفي باستنتاج المواقف لهذه الاتجاهات دون سرد لتطورها وابعادها تفصيلا .

الاتجـاه الاول : استلـب بحضـارة الغـرب واعمـت بصيـرتـه عـن واقـع ارضـه ، وتعلق بهـا تعلـق الغـريـق الـذى رأى فيهـا نجاتـه فانجذب بها بدلا من تقنينها ولم تتجاوز نظرتـه لهـا السطحيات منها ، وانعكس ذلك على اطار التعريب فجاء لديه مرتجلا يعبر عن انجذابه اكثر ما يعبر عن واقع حضارة الغرب وادى بالضرورة انجذابـه هذا بحضارة الغرب ، الى تنكره لحضارته وعدم اكتشاف عطاء لغتها وقدرتها ، فهو كمثل الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى . سطحية وارتجال وعفوية فى تحمسه لحضارة الغرب وسطحية ايضا فى معرفته لحضارته العربية الاسلامية . ومن يطالع المجلات الثقافية والادبية العربية فى القرن الماضى يلفت نظره هذا الاتجـاه فى عفويته ، وعدم دراسته على عكس ما تم فى تجربتنـا السابقة مع الفكر الاغريقى بالنسبة للمتحمسين لهـا فلم يدفعهم تحمسهم آنذاك الى درجة الابتلاب بها ، والتنكر لاسلافهم ومقوماته الحضارية .

اما الاتجاه الملتزم الرافض لحضـارة الغـرب ، والتعامل معها ، باعتبار ان المستعمر لا يمكن معاداته وفى نفس الوقت تقبل انكاره ، فقد تحصـن ممثلـوه بحضارتهم الاسلامية العربية ولغتهم قلبـا وقالبـا ، وبالتالى لم يك لهم دور ملحوظ يذكر فى منطلق الاحتكاك بالفكر الاجنبى الحديث لرفضهم له اساسا من حيث المبـدأ .

بقى الاتجاه الثالث التوفيقى ، وقد نضج مـع تأسيس الجامعات ، وتبلور منذ مطلع هذا القـرن ، ودعمته المجامع بعد ذلك وهو يحاول التوفيق انطلاقا من المعرفة بحضارته والالتزام بها ، مع تغذيتها بما هو ايجابى فى حضارة الغرب ، ولكنه وجد صعوبة فى شق طريقه نظرا للظروف السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية بصفة عامة بل استحال عليه التحرك فوق ارض حضارية وان كانت متكاملة فى انتمائها لكن ممزقة فى ميولها يسعى الخصم جاهدا أن يعمق فرقتها فيضيف الى فرقتها السياسية فرقة ثقافية وبالتالى واجه هذا الاتجاه التعريب بقدرات مجزأة مفتتة غير متناسقة ، ومشتتة ليس فقط على مستوى الاقطار العربيـة ، متعددة بتعددها ، ولكن أيضا على مستوى القطر الواحد، وانعكست عليها تناقضات العالم العربى بدلا من ان تكون وسيلة من وسائل امتصاصها وتجاوزها .

ومن ثم ففترة المنطلق باتجاهاتها الثلاثة لم تشكل ارضية رصينة للتعريب تتطور فى صورة ايجابية ، وانما اضحت عائقا علينا ان نبذل الآن جهدا فى تجاوزه لنخلق جوا مناسبا ، وموائما لتعريب جدى منسق ، متكامل موحد ، بل اضاف الارتجال فى المنطلـق الى قضيـة التعريب فى حد ذاتها ، قضية التخلص من مجازفاته وتجاوز سلوكه المشتت المجزء المتعدد . فالناظر الى حال ما عرب خلال مرحلة المنطلق يجـد خليطا مـن مصطلحات ، ان كان بعضها يغطى شكلية التسمية فكثيرا ما تتناقض مع مضامينها ، بل نجد احيانا مصطلحا واحدا تقابله مصطلحات متعددة بقدر تعدد اقطـار العالم العربى . حتى ان بعض هذه المصطلحات فرغ مـن محتـواه .

ولقد اتجه البعض امام هذا الالتباس الى نقل المصطلح معربا ، دون التأكد من وجود مقابل عربى له ، ودون التزام بالمقاييس اللغوية فى تعريب المصطلح من حث تقبله سماعيا واخضاعه ليس فقط للمقاييس القاعدية للغة العربية ، بـل وللمقـاييس الجماليـة والايقاعية ، واكثر من هذا نجد فى بعض الاحيان نفس المصطلح يستعمل مرة معربا واخرى بمقابل ، ولقد تفشت هذه الظاهرة اخيرا ومردها دون شك قصـور المنطلق فى خلق ارضية تعريب محددة ، ومنسقـة ، وموحدة . نعطى كمثال لهذه الظاهرة : السوسيولوجيا او علم الاجتماع ، السيكولوجيـا او علـم النفس ، الانثـربـولـوجيـا او علـم الانسـان او علـم السـلالات البشـريـة ، او علم الاجناس . علـم التربية او البيدغوجيا . علم السكان او الديمغرافيا مع ان هناك تباين بالنسبة لهذا المصطلح الاخير بين النظرية العامة للسكان والديمغرافيا كدراسة لكم السكان حركيا او قاريـا .

ولقد ادت هذه الظاهرة ايضا الى التبـاس فى المضامين تحت تعدد المسميات ، واصبحت تشكل عائقا بالنسبة لعطاء العلم وفاعليته ومنهجه ووضوحـه ، فالعلم اساسا يرفع الالتباس لا يعطيه .

ومع هذا لا ننكر ان فترة الانطلاق رغم مجهوداتها الفضولية مهدت على الاقل لنا الطريق ، ولولا فضولها لتأخر التعرف على الكثير من هذه العلوم الحديثة سواء طبيعية او انسانية . ولا شك ان التعريب ، وقد تجاوز مرحلة المنطلق حاليا وتطلع الى مرحلة التنسيق سوف يشق طريقه ، من خلال مكتبه بالرباط ، وان يحصر المراحل جاهدا بفضل تعاون مختلف المؤسسات الثقافية والمجامع الاكاديمية المهتمة بهذا الموضوع . وسنحاول فى المبحث التالى طرح تصورنا لمرحلة التنسيق هذه ، على ضوء ما هو كائن مع الاشارة الى كيفية التغلب على العوائق التى ورثناها من المنطلق ، لنصل فـى النهاية الى ما يجب ان يكون ونعنى بذلك مرحلة التوحيد.

المبحث الثـالث

من مرحلة تنسيق التعريب فى العلوم الانسانية وكيفية التغلب على العوائق ، الى مرحلة التوحيد

التعرض لمرحلة تنسيـق التعـريب فى العلـوم الانسانية يلزمنا فى البداية وقبل الخوض فى تفاصيلها بابداء ملاحظتين اساسيتين : **الاولى** خاصة بتحديـد موضوعى موجز لما نعنى بالعلوم الانسانية **والثانيـة**

خاصة بوضع التعريب بين هذه العلوم ، والرياضيات والعلوم الطبيعية التجريبية ... الخ ، فبالنسبة للاولى حينما نصنف ابستمولوجيا المعارف بهدف **تقنينها** لا الاكتفاء بتنظيرها كما هو الحال فى **نظرية المعرفة** او تعليلها كما هو الحال فى **فلسفة العلوم** ملتزمين فى التقنين بمنهجيتها وتصنيفها ، نجد ان المعرفة العلمية تلتزم بتعريف التفكير الرياضى المؤدى الى اليقين على انه مسيرة استدلالية من فروض او مسلمات بديهيات وتعريفات ومصادرات (منذ اقليدس) والمنطق الصورى لارسطو الذى هو ضرب من التفكير الرياضى ايضا بقدرات مسلم بها للوصول الى نتائج بينما التجريب فى العلوم الطبيعية فى العصر الحديث تعرفه على انه دراسة انطلاقا من اساس تعميم المبادى على ظواهر بعد وصفها لتعليلها وتخريجها اعتمادا على الملاحظة المباشرة المخبرية حيث يمكن عزل الظاهرة معمليا والسيطرة عليها وقياس كم جزئياتها وبالتالى اجراء التجارب بهدف الوصول الى اكتشاف القوانين الطبيعية المسيرة لها ، وكيفية تطويرها ، واعطاء النتائج الملتزمة بحتمية هذه القوانين او تصحيحها او تخطئتها ، او تحويلها .. الخ ، ومن حيث الشرح والتحليل والتفسير يعتمد فى ذلك منهجيا كما ذكرنا على **اساس التعميم** للمبادىء مع تنوعه وتكيفه فى كل علم على حدة .

اما بالنسبة للظواهر التى لا يمكن عزلها معمليا والسيطرة عليها فى المخبر كالظواهر الانسانية حيث تحكم الصفات الذاتية ايضا او الثانوية كالقيم الاخلاقية والجمالية والوجدانية والمشاعر والروحانية فيلجأ فيها الى تعدد الملاحظة ابتداء من الملاحظة غير المباشرة كالملاحظة الوثائقية (نسبة الى وثائق) والتاريخية والاحصائية والمقارنة .. كذلك يمكن استئناس الملاحظة المباشرة التجريبية فى بعض مناحيها « كسيكولوجية الطفل مثلا ، وما يمكن توفر شروط التجريب فيه واكتشاف الصفات الاولية الثابتة الموضوعية له وينصب الهدف اساسا لا على اكتشاف قوانين (كما زعم البعض) على الاقل فى المرحلة الحالية من هذا القرن ، وانما اكتشاف العوامل المهيئة للسببية بفضل التكرار والانتظام بين عوامل اساسية وثانوية ويلعب الاحصاء حاليا دورا هاما فى ذلك . اما من حيث الشرح والتحليل والتفسير ، فلا يعتمد كما هو الحال فى علوم الطبيعة على **اساس التعميم للمبادىء** وانما تصنف علوم الانسان بين علوم استطاعت ان تحدد لها قواعد او انسقة كما هو الحال فى العلوم اللغوية ، والعلوم الاقتصادية ، والعلوم القانونية ، اتفق عليها ويطلق عليها منهجيا **العلوم الاجتماعية الخاصة** . ويمكن ان تلحق بها الديمغرافيا ، والجغرافيا ، وكذا العلوم التاريخية (حسب التحليل الماركسى للتاريخ وربطه بانسقة تاريخية تكيفت حسب علاقات وقوى الانتاج لتحدد انماطه وتؤول به الى حتمية يمليها الصراع الطبقى حول بنية المجتمع) وان كنا شخصيا نميل مع العلامة « جورفتش » فى مناهج العلوم الى اعطاء « العلوم التاريخية » منهجا قائما بذاته فى الشرح يعتمد على تخصيص وانفرادية الاحداث والوقائع فى رصد مالا يتكرر .

ونكتفى بهذا التوضيح لنعود الى ما تبقى من تصانيف العلوم الانسانية ، ونعنى بذلك النوع الثالث باعتبار ان هناك : 1) **علوم اجتماعية خاصة** تعتمد فى الشرح على المنهج التحليلى بناء على قاعدة او نسق للاحالة ، واعطينا امثلة منها . 2) **وعلوم تاريخية** لها منهجها التخصيصى (باستثناء الاتجاه الماركسى فى شرح التاريخ) يهدف فى علم التاريخ الى تصحيح التاريخ لاثبات صحته بفضل الاحتكام لتعدد العوامل والمصادر ، وتحكيم البيئة فى تنقية وغربلة ماضى فى حاضر اصبح ماضيا بدوره . او تعليل التاريخ كما هو الحال فى فلسفة التاريخ بعد التأكد من صحة وقائعه واحداثه لا قبل ذلك (كما التبس على البعض) لانه لا يمكن فلسفة تاريخ لم تثبت صحته ، اللهم الا اذا كان الهدف فلسفة اهواء المؤرخين وتذوقاتهم وميولهم . 3) **العلوم السوسيولوجية** ونعنى بها السوسيولوجيا ونظريتها العامة نشأة وتطورا واتجاهات معاصرة ، وفروعها التخصصية العملية والميدانية كالسوسيولوجيا الاقتصادية ، والسياسية ، والحضرية ، والريفية ، والصناعية ، والدينية .. الخ . ومن حيث الشروح فى هذه العلوم السوسيولوجية هناك الاتجاه البنيوى الوظيفى الذى يعطى اهمية لفورية شبكة العلاقات الاجتماعية كفعل ورد فعل ولا يركز على الخلفيات التاريخية والمقنعات المضمرة ، والاتجاه الديالكتيكى الاستقصائى الذى يركز على التناقضات وشموليتها انطلاقا من الواقع كما هو بخلفياته ومقنعاته . اما علم النفس والانثربولوجيا وبقية العلوم البينية (بين بين) فالشروح بنيوية وظيفية او ديالكتيكية تنطلق من الانتماء للاتجاهات . وان كنا نميل الى الحاق السيكولوجيا الاجتماعية بالسوسيولوجيا فى الشروح بينما سيكولوجية الطفل نحتكم فيها للابستيمولوجيا النشوئية او التحليل لمراحل النمو النفسى ، (فرويد اويونج) .

اما موضوع هذه العلوم الانسانية فهو بدوره تتحكم فيه العلاقات والبنيات والوظائف اكثر ما تتحكم فيه قوانين طبيعية حتمية 1) الانسان وعلاقته بماضيه (التاريخ) 2) بمحيطه (الجغرافيا والايكولوجيا) 3) بالآخرين شكلا وكما (الديمغرافيا) 4) بالتقاليد والعادات والاعراف لتحقيق تجانسه (الانثربولوجيا تراثية ثقافية او اجتماعية) بخلاف الانثربولوجيا الطبيعية (التى ترتكز على التاريخ الطبيعى للانسان) 5) بوسائل التوصيل والتعبير والرموز والعلامات والاشارات (العلوم اللغوية) 6) بالضبط الاجتماعى حقوقا وواجبا ووسائل الردع (العلوم القانونية) 7) بثروته انتاجا وتبادلا واستهلاكا (العلوم الاقتصادية) 8) بالسلطة (علم السياسة) 9) باغواره وشعوره كفرد وتأثره فى

المجتمع (العلوم النفسية) 10) بالآخرين لا شكلا وكما ، وانما مضمونا وكيفا فى الاسرة والجماعة والطبقة والمجتمع من خلال كل ابعاده وتناقضاته شموليا (السوسيولوجيا وفروعها التخصيصية) حيث لا تطرح العلاقات فى اطارها النوعى وانما فى تناقضاتها الشمولية لسد قصور شروح العلوم الاجتماعية الخاصة حين تازمها ، بجانب دراسة الانسان لا كفرد فى حد ذاته وانما انطلاقا من وحدته الاجتماعية اسرية او جماعية ، او طبقية او مجتمعية ، 11) بخالقه ومصيره بهدف توافق الرؤية الدينية والعلمية لا احلال احدهما بدلا من الآخر ، العلوم الدينية فى تصورنا الاسلامى لها . اما الدين فى جوهره (الاسلام مثلا) فسوف يبقى اساسا متجاوزا لكل فلسفة وعلم اللهم الا لدى المتجاهل او الجهول .

وعلى ضوء هذه الملاحظة الاولى من خلال نظرة مركزة لمفاهيم علوم الانسان ننتقل الى الملاحظة الثانية الخاصة بوضعية التعريب بين هذه العلوم من جهة والرياضيات كالحساب والهندسة والجبر وعلوم الطبيعة التجريبية الفيزيائية والكيميائية . . . من جهة اخرى . التعريب للمصطلح كى يتم فى صورة علمية لا بد وان يهتم بفزيولوجية المصطلح اهتمامه بمرفولوجيته ، اى يهتم بوظائف المصطلح من خلال مضامينه بقدر اهتمامه بشكله وبنيته من حيث المقابلة والمعادلة . بل من الخطأ طرح المقابلات اللغوية والمعادلات جزافيا . فكل مصطلح له حياة ووظائف الى جانب بنيته ، نجدها فى الرياضيات تحددها الفروض والرموز العددية الحسابية وما ابسطها وادقها وفى العلوم الطبيعية تحددها بسهولة التجارب المخبرية او تمليها الملاحظة التى ولدتها وانشأتها من لدن الباحث ، بل ان بعض المصطلحات فى علوم الطبيعة ولدت على ضوء المضمون لا ان المضمون حدد باستعمالها كما سوف نلاحظ فى بعض مصطلحات علوم الانسان . ومن هنا كان رأينا أن التعريب فى العلوم الطبيعية اكثر بساطة لان مضامينه محددة اساسا ولا تتغير بتغير المجتمعات خصوصا ما جد فى عصور التطور العلمى الحديث واكتشافاته واختراعاته ، فلا يمكن ان يبحث عن تاريخ مجهول لمصطلح ابتكر مع ابتكار مضمونه بناء على التجربة او الاكتشاف .

اما ما سبق من مصطلحات فى علوم الطبيعة عرفتها الحضارات السابقة ، ففى هذه الحالة يحال الى اطارها التاريخى حين التحديد شكلا ومضمونا مع اضافة ما جد فيه من اجتهاد ، كمثال المصطلحات التى عرفتها حضارتنا الاسلامية العربية فى ميدان العلوم الطبيعية والكيمياء واجتهادات جابر ابن حيان ، المفروض وفاءا منا لحضارتنا ان نعيدها الى ارضيتها بمصطلحات عربية اساسا مع الاشارة الى ما حدث لها من تطوير وتطور فى الحضارة العلمية المعاصرة . اما ما جد فنكتفى بتعريبه شكلا ومضمونا ، لان البحث عن مقابل او معادل يعنى اختلاق موازى لمصطلح ، له بدوره حياته ووظائفه ، والحكم على مصطلح مبتكر بانه له مضمون تاريخى فى لغة اخرى ، وهنا نكون امام مصطلحين لا مصطلح واحد احدهما بلا ماضى لانه مبتكر والآخر بلا حاضر او مستقبل لانه يعيش التجربة التى آلت الى توليد المصطلح . وقد يبدو هذا التناقض واضحا فى المصطلحات التى تحمل اسماء مبتكريها او اسم التجربة موضع المصطلح . فكيف يوضع لهذه المصطلحات فى هذه الحالة مقابل عربى . اذن تعريب بكل بساطة شكلا ومضمونا .

وهكذا نرى ان تبسيط قضية تعريب مصطلحات الرياضيات والعلوم الطبيعية بتبنى نهج التعريب شكلا ومضمونا لما هو جديد سوف يساعد على الاتجاه بنا الى المعاصرة العلمية ولا نعيش فى زمان متراجع عن زمانه . حين نعرف مضامين تجاوزها زمانها . فمن المعروف ان العلوم الطبيعية والبحتة والرياضية بفضل التقدم فى المعرفة التكنولوجية المعاصرة تعيش فى زمن سوسيولوجى سابق لزمانه .

اما بالنسبة لقضية التعريب فى علوم الانسان او العلوم الانسانية فالوضع يختلف حيث الرابطة فى بنية المصطلح المرفولوجية تنعكس عليها وظائفه فى الحياة الانسانية والاجتماعية ولا تحددها تجربة معملية ومن ثم فكل مصطلح انسانى له صفاته الذاتية يعيش معطيات بيئته الاجتماعية ويعبر عنها قيما ، او أفكار ، او مواقفا ، او ادوارا ، بل وتنعكس عليه ايضا الخبرة الثقافية والحضارية لكل أمة فهو يجسد وجدان شعبها وعبقريته. وبالتالى تبنى المصطلحات الانسانية يطرح اول ما يطرح **مبدأ المواءمة** بين المضامين مضمون المصطلح فى لغته الام ثم كيفية خلق مضمون محدد له فى ارضيته الجديدة يعبر عن واقعها لا واقع ما نقل عنه . فتعريب مصطلحات الانسانيات خصوصا فى اهمها . العلوم التاريخية ، والسوسيولوجية ، والسياسية ، والاقتصادية والنفسية والدينية والانثربولوجية ، وحتى الفلسفة والقانون (بالنسبة لشريعتنا الاسلامية الخالدة) لا بد ان تنطلق فيه معايير تحديد المضمون من ارضيتنا بعد الاشارة فى البداية الى مضمونه فى لغته . اما اذا تبنينا مضامينه فى لغته الام فسوف يصبح وسيلة من وسائل مسخ حضارة امتنا وعطائها تحت شعار تجديدها وتحديثها .

وبالتالى مقاييس التعريب فى الرياضيات والعلوم الطبيعية غير مقياس التعريب فى علوم الانسان ، فهذا النوع الاخير لا يكفى فيه مجرد التخصص النوعى للمعرب (بكسر الراء) وانما يتطلب منه قدرة وعمقا فى تعرفه على ابعاد حضارته ولغته ، بقدر عمقه فى الحضارة واللغة المعرب عنها . الى جانب التزامه الصادق بوجدان امته ، وعقيدتها وعبقرية شعوبها ؛ والا آل التعريب الى غير ما يرجى منه ، واصبح يغطى خلفيات ومقنعات مبيتة سلفا .

اما الخطوات الموضوعية العملية للتعريب في الانسانيات تحت راية التنسيق توطئة لتوحيد المصطلحات فنحددها كما يلي :

الخطوة الاولى : تتم خلالها عملية الحصر والجدونة للمعاجم الموسوعية التي ظهرت في اللغة العربية ، خصوصا ما تبنى منها لاكثر من لغتين (اى العربية والفرنسية والانجليزية) نظرا لتفاعل العالم العربي مع الثقافتين الفرنسية والانجليزية ، ثم بعد ذلك الالمانية وغيرها ، الى جانب الاهتمام بمضامين المصطلحات اى شرح وظائفها ومعانيها لا مجرد معاجم لغوية تكتفي باعطاء المقابل ، وخلال عملية الحصر هذه تصنف هذه المعاجم الموسوعية بين ما **ينتفع به اساسا وما ينتفع به نسبيا وما يستبعد** . ثم يطبع هذا التصنيف التحليلي ليوزع على الجامعات والمؤسسات الثقافية كدليل في هذه المرحلة الوقتية في انتظار ظهور المعاجم المنسقة الموسوعية الموطئة للمعجم الموسوعي الموحد فيفروع العلوم الانسانية الاساسية بالنسبة لحضارتنا مبتدئة بالمعجم الموسوعي الموحد في العلوم الاسلامية والتاريخية ، ثم المعجم الموسوعي الموحدفي العلوم السوسيولوجية والنفسية والانثربولوجية ثم المعجم الموسوعي الموحد في العلوم القانونية والسياسية والاقتصادية ، الى جانب الفروع المكملة لهذه العلوم ولكن قبل ان نصل الى هذه المرحلة النهائية للتعريب علينا ان نمر بالخطوة الثانية والثالثة .

الخطوة الثانية : تعنى حصر وجدولة لا للمعاجم وانما للمصطلحات وهذه بدورها تصنف في قسمين من حيث المصادر ومن حيث النوعية ، اما المصادر فتصدر فيها : 1) المجامع اللغوية العربية وما اتفق عليه ، 2) تكمل بمصطلحات اكتسبت مشروعيتها من حيويتها اليومية في المعاجم الموسوعية التي وضعت كاستجابة لضرورة التعليم وفوريته من قبل القائمين على التجربة اليومية في الجامعات ودور العلم .

اما التقسيم النوعي للمصطلحات فنعنى به : 1) مصطلحات لها حياة تاريخية منبثقة من ذاتية امتنا وعبقرية تراثنا ووجدان شعوبنا ولها مضامينها التي ارتضيناها كمثال : دين ، امة ، فلسفة ، ثقافة ، تراث ، نبي ، رسول ، الحاد ، شرك ، ظلم ، حد ، الحرمات ، اخلاق ، معنويات ، نية ، وجدان . . الخ ، فمن الخطأ الانطلاق من المضمون الاجنبي وتبنيه ولكن يحدد المضمون من خلال تجربتنا الحضارية ثم يشار الى مضمونه في حضارة الغير المعاصرة ثم يعطى التخريج للمضمون وذلك في اسطر محددة . 2) اما المصطلحات الاخرى للعلوم الانسانية التي ليست لها حياة تاريخية محددة في حضارتنا وانما وليدة الاجتهادات العلمية في حضارة الغرب خصوصا في الانثربولوجيا والسيكولوجيا والسوسيولوجيا والاقتصاد فمن حيث الشكل للمصطلح من الاولى ان يبحث عن مقابله العربي واذا تعذر اشتق او عرب بكل بساطة ان كان قابل لذلك من حيث تقبله سماعيا .

اما المضمون فيحدد في البداية حسب معطياته الحضارية ثم نقوم بعملية مواءمة له مع ما يتمشى ومعطيات حضارتنا كمثال مصطلح اشتراكية ، راسمالية ، ليبرالية ، شيوعية ، ايديولوجية . . الخ ، يبدأ بتحديد مضمونه عندهم ثم تبدأ عملة المواءمة والتكيف حسب ذاتيتنا الحضارية وذلك بطرح تصورنا لمضمونه حسب قيمنا وعطاءنا ، ثم تتم عملية التخريج للمصطلح ، وذلك في اسطر معدودة ، ولقد التزمنا بذلك في **معجمنا الموسوعي العالمي للعلوم السوسيولوجية والسيكولوجية والانثربولوجية** الذي نحن بصدد اخراجه حاليا لدى « دار النشر الباريسية جتنر » .

اما الخطوة الثالثة : فهي تنطلق من وجود هذه المعاجم الموسوعية المنسقة (بكسر السين) بين العلوم الانسانية ، والمنسقة (بفتح السين) بين الاقطار العربية تسليما بمبدأ التعدد في هذه المرحلة مع الاتجاه بها الى الامتصاص والاذابة ، اى امتصاص التنوع والتعدد الموجودين حاليا ، في الاستعمال العلمي للمصطلحات ، لنخلق حدودا في البداية بين الاستعمال الاولى المباح في كل مصطلح ، وما تبنى علميا من هذا الاستعمال بمضمون معين يغطي استعمال علمي محدد ، اذ من الصعب الانطلاق مباشرة الى توحيد المصطلح دون المرور بمرحلة تنسيقية وسطية واعية بالتركة التي ورثتها ويمكن ان نسميها مرحلة المعاجم الموسوعية المنسقة (بكسر السين) لتؤهل للمعجم الموسوعي الموحد في كل مجموعة علوم بينية اساسية من المجموعات الثلاث السالفة الذكر في العلوم الانسانية ومع الاجيال القادمه يتم تعميق ما وحد على ضوء التطورات العلمية وتوالد علوم بينية جديدة . .

وكخلاصة : ان كانت هناك عوامل اعاقة ورثناها في الفترة المعاصرة فقد ورثنا ايضا حوافز الدفع والثقة عبر قرون من تاريخنا ، فعقيدتنا المشتركة لدى غالبية الامة العربية ايمانا ودينا ، ولدى الامة برمتها حضاريا ، ولغتنا العربية القادرة بما اعطت علميا ، ومعاناتنا وامجادنا التاريخية الواحدة القابعة في وجدان كل انسان منا ، تجعلنا ننظر الى غد التعريب بقدرة واصرار ولن يكون بحال اداة للتزيف والزيف ، وانما مصلا للحصانة والمقاومة في سبيل بقاء الذات وتجاوز المواجهة الحضارية لنكون في طليعتها وحملة لرايتها . غير انه لا يمكن للتعريب كما تصورناه في الصفحات السابقة ان يعزل عن بقية الاهتمامات الثقافية المكملة له والمدعمة لعطائه ونعى بذلك :

1 ـ الاهتمام بنشر امهات التحف المشكلة لثروتنا الحضارية فمنها نستقي المضامين الاصيلة واعادة ما نشر في اطار متكامل بدلا من القطع المبتورة التي لا تشكل تيارا فكريا فنحن في اشد الحاجة حاليا الى نظرة شمولية متكاملة لعطائنا الحضاري كما هو الحال في حضارة الغرب الآن ، ثم تسهيل تداول هذه التحف في طبعات ميسرة ومبسطة للشباب ، وهذا بدوره يدعونا الى اعادة

النظر فى تاريخنا ـ كما نكرر ذلك دائما ـ لانه لا يمكن استشارة تحف حضارية خالدة فى غيبة تاريخ علمى مفلسف لها ، وهذا يتطلب القيام بعمل جماعى متكامل يرصد مراحل تطور امتنا مصدرا لانجازاتها الفكرية فى تطور الانسانية حتى نعطى ثقة لبراعمنا ورجال الغد فى حضارتهم ، دون اهواء او تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، من خلال خلفيات المؤرخين ونزعاتهم .

2 ـ ترجمة امهات الانتاج الانسانى العالمى الحديث والمعاصر من زاوية اختياراتنا الحضارية وما يتمشى وتدعيم تراثنا وذاتيتنا ، وذلك بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم الغربية وقدراتها المنهجية لا ترك الساحة الفكرية للترجمات التجارية والمبتة والموجهة بهدف سلب شبابنا من ذاتيته وتعريته من انتمائه ، وتشكيكه فى أرضيته .

وفى النهاية ان الامل الكبير لراودنا فى ان « منظمة الثقافة والتربية والعلوم » بما لها من جدارة ، وما عليها من مسؤولية ، سوف تسعى بمجهوداتها النيرة البناءة للمساهمة فى بناء الانسان العربى ثقافيا وعلميا بتوحيد معاجمه ومعرفته ، واعادة صياغة عطاء حضارته ، وتغذيته بايجابيات الفكر الانسانى المعاصر ، هذا الامل الكبير الذى يبرره ما حققت هذه المنظمة حاليا ، ومكتب تنسيقها ، من عطاء موضوعى نعتز به جميعا ، وبحثنا من جانبنا على الاسهام ، لا الوقوف فى موقف المتفرج ، فى هذا الجهد تمهيدا للطريق التى سوف تشقها أجيال الغد الصاعدة لتسير ثابتة رائدة لامتها فى كل دروب المعرفة ، ومن سار على الدرب الصحيح وصل .

دكتور رشدى فكار

التعريب ومراعاة جمال العربية واوزانها

للأستاذ أحمد عمار

المستشار بسفارة السنغال ببيروت

ننشر فيما يلي نص الرسالة التي وردت علينا من الاستاذ المحترم أحمد عمار ونحن نؤكد لسيادته حرصنا الشديد على الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجمالها في كل ما تقدم من مشاريع للوطن العربي في مجال التعريب :

الى حضرة المدير لمكتب التعريب بالمغرب الاقصى ·

سيدى المدير ، انا ، بصفتى كاستاذ فى الآداب العربية قبل أن أكون مستشارا فى السلك الديبلوماسى ارغب ان اشارككم فى اعمالكم الشاقة لحل المشكلة اللغوية التى ترتكز على شيئين اساسيين :

ـ الشيء الاول هو عدم اتفاق البلدان العربية على مصطلحات موحدة تحترم فى جميع الاقطار الاسلامية.

ـ والشيء الثانى هو عدم مراعاة الذوق الادبى فى هذه اللغة · وهو شيء هام جدا .

وفيما يخص المصطلحات الجديدة فليقترح المكتب على جميع الدول التى اتخذت اللغة العربية لغة رسمية ان تكون لجنة تقوم بتوحيد المصطلحات وبتنقيب الالفاظ حسب متطلبات الاصوات والاوزان العربية التى بدونها تفقد اللغة العربية جمالها وذوقها الادبى من جهة ثم تدخل فى سجن ضيق لا تستطيع أن تتصرف فيه من جهة اخرى ·

ـ ومراعاة الاوزان وترتيب الاصوات حسب القواعد الصرفية والنحوية من جهة وحسب مطلبات الفصاحة ، كاجتناب تنافر الكلمات من جهة اخرى ، تضمن لهذه اللغة كيانها البلاغى ومتانتها اللغوية ونغمها الموسيقى واوزانها الصرفية العظيمة ·

وباحترام هذه الاوزان تبقى هذه اللغة فى مجال واسع من الحرية والتصرف مثلا عند ما نأخذ كلمة اجنبية ونريد ان نعربها تنظر اللجنة التى اشرت اليها الى اقرب وزن من الاوزان اللغوية المنبثقة من عبقرية هذه اللغة فنقول ، على سبيل المثال ، « فى « تِلِيفِيزْيُونْ » تَلْفَزَة . ومنها تنطلق الى تَلْفَزَ يَتَلْفَزُ مُتَلْفِزٌ ومُتَلْفَزٌ وتَلْفَزَ تَلْفَزَةً ·

ثم يتصرف الفعل مع جميع الضمائر وتنصرف الاسماء الى المثنى والجمع والى المذكر والمؤنث

ويمكن للمتحدث ان يستعمل الكلمة كاسم يدل على شيء مثل « التلفزة » فى قول الصحافى : اخذت هذا الخبر من اذاعة التلفزة السنغالية ·

ـ او ان يستعملها كاسم يدل على حصول عمل ، كالفعل ، مثل « تَلْفَزَة » فى قولك للصحافى ، ان تلفزتك الجلسة العملية امر ضرورى ·

ـ اما ما يقع الآن فى عدم مراعاة الاوزان المنبثقة من عبقرية اللغة بادماج الكلمة الاجنبية التى فيها حركات ثقيلة متوالية مثل « تلفيزيون » فهذا ما يمجه الذوق السليم وترفضه عبقرية هذه اللغة ويستهجنه الوقع الموسيقى لما فيها من ثقل الحركات المتوالية بالكسر ثم الانتقال منها الى الضمة الممدودة ·

ـ ولست بهذا الكلام ضد استعمال الكلمات الاجنبية التى تغذى هذه اللغة علميا وادبيا وفلسفيا بل يعنى أننا ضد استعمال سيء ادبا وذوقا ، وضيق من حيث اللغة والصرف ·

ـ وانا افضل نحت الكلمة الاجنبية الجديدة نحتا عربيا ان تكن موجودة من اللغة العربية من أن نخترع كلمة عربية جديدة ·

ـ ونلتمس من سيادتكم ان تتقبلوا منى فائق الاحترام وتقدير مجهوداتكم الجبارة · والسلام عليكم ورحمة الله ·

معالجة التعريب في العلوم الهندسية

الدكتور علي محمد كامل

اعتبارات التعريب :

منذ بداية الستينات وقسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس فى القاهرة يمارس التعريب ، يحدوه فى ذلك اعتباران : الاول أممى فلسفى والثانى قطرى واقعى :

اما الاعتبار الاول فهو احتياج شباب العلميين العرب الى استغلال لغتهم الاصلية فى التفاهم العلمى بينهم وبين بعضهم على تحقيق تكامل اقطارهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، اذ ان هذا التكامل هو الذى توفرت مقوماته للتجمعات السكانية ذات التلاحم الترابى فى الولايات المتحدة الامريكية وفى اتحاد الجمهوريات السوفييتية فبلغت كل منها مرتبة الدول الاعظم ، ولو لم تتشعب لهجات اللغة اللاتينية التى عمت اوروبا فى عهد الامبراطورية الرومانية ثم اصبحت بعد ذلك لغات متفرقة لما لهثت اوروبا الآن وهى تحاول بتكاملها الاقتصادى أن تعتنق صيغة الولايات المتحدة الاوروبية لتلحق بركب الدول الاعظم . أما العرب فقد توفرت لهم مقومات التكامل من موارد اللغة والثقافة والثروة المادية وبقى عليهم أن يمارسوها بكل قواهم ليصبحوا كتلة حضارية شامخة .

عند ما بدأت ممارسة التعريب الذى اشرت اليه كنا نجتاز مرحلة الوحدة بين القطر السورى السباق فى هذا المضمار وبين القطر المصرى ، فعز علينا ان تقترن تلك الوحدة بالفرقة بين المفاهيم سواء المترجمة او الاصيلة .

خذ مثلا مصطلح porte valve فهو للسوريين بالفرنسية يعنى « حاملة الصمام » ، أما valve port فهو للمصريين بالانجليزية يعنى « ثغر الصمام » ، وشتان ما بين الحاملة والثغر .

وحتى كلمة « ابدا » العربية الصميمة يستعملها السورى بمعنى « نعم ، الى الابد » ويستعملها المصرى بمعنى « لا ، الى الابد » .

ولا زال الى اليوم كثير من علماء العرب الافاضل يستحي ولوج المؤتمرات العلمية ذات الصبغة الاقليمية العربية حيث من الطبيعى ان يتبادل الفكر مع بنى أمته فيما يهمهم بلغتهم العربية ، بينما يقبل بلا تردد الاسهام فى المؤتمرات العلمية التى تعقد على الصعيد الدولى حيث يمكنه الانطلاق عن جدارة باللغة الاجنبية التى درس بها .

ولا ينبغى ان يؤخذ الترابط العلمى بالعربية بين ابنائها على انه يعنى قطع الجسور الحضارية التى نشأت بين بعض الاقطار العربية وبين الدول المتقدمة بل لكل منها ان يستغل تلك الجسور فى اثراء التكامل بينه وبين سائر الاقطار العربية . ان معرفة لغة اجنبية حية واحدة على الاقل اصبحت ضرورة للمشتغلين بالعلوم والهندسة العصرية ايا كانت جنسيتهم امريكية أم روسية أم انجليزية أم فرنسية ، فان لغة واحدة اصبحت لا تكفى لاستيعاب كل ما يقدمه العلم من جديد ، وذلك احرى بالعربى الذى يريد أن يفيد من الجسور الثقافية بينه

وبين الحضارات العصرية ليقوى بها ذخيرته ويتقاسمها مع اخوته فى العروبة ليس فقط عن طريق متابعة المجلات والنشرات العلمية ، فقد اصبحت هذه من الكثرة والاقتضاب ما يؤدى بطالب العلم والخبرة الى استكمالها بالتراسل مع الاوساط المتخصصة فى فرعه بالبلاد المتقدمة عن طريق لغتهم .

اما الاعتبار القطرى الواقعى الذى اوحى بالتعريب المشار اليه فهو بدوره ذو شقين اولهما تربوى مؤداه ان المفاهيم العلمية اذا القيت على الدارسين باللغة التى يفكرون بها نفذت بيسر الى اعماق اذهانهم فتفاعلوا معها وامكنهم ان يمنطقوها وان تتفتح لهم ابواب الابداع فيها . والشق الثانى اجتماعى مؤداه ان على المهندس أن يتعامل مع باقى الهيكل البشرى الهندسى من تقنيين وعمال وان ينقل اليهم المفاهيم بدقة ويطور معلوماتهم ويوضحها لهم بلغة يتقنها هو ويمهمونها هم ولا التباس فيما تحمله كلماتها وصيغها من معان . وكلا الشقين كان يشير بقوة الى ان التعريب هو الحل : فعند ما سافرت الى انجلترا فى الاربعينات للحصول على الدكتوراه فى الهندسة لم اجد صعوبة فى الدراسة باللغة الانجليزية اذ كانت تلك اللغة تدرس لنا فى المدارس الثانوية على ايدى مدرسين انجليز ، بل ان بعض الاساتذة الذين درست عنهم الهندسة فى جامعة القاهرة كانوا انجليز . وما لبثت بضعة اشهر فى انجلترا حتى وجدتنى افكر باللغة الانجليزية واتفاعل مع المحاضر وانا استمع اليه . ولكنى لما عدت فى الخمسينات الى مصر لا تولى التدريس بجامعة عين شمس كان الحال قد تغير ؟ فازاء الانفجار السكانى والانفجار التعليمى لم يعد فى مقدور مصر أن تستمر فى تلقين ابنائها اللغة الانجليزية على ايدى مدرسين انجليز حتى يشبوا على التفكير باللغة الانجليزية ولذا وجدت أن قدرة الطلبة على متابعة المحاضرة باللغة الانجليزية قد ضعفت ، واكتشفت انى لو القيت نصا كاملا بها بالسرعة المعتادة فى الكلام لاتخذ بعضه طريقه الى ما يدونه الطلبة من مذكرات فى الخطوات التالية :

أ — تفهم سياق النص الانجليزى

ب — ترجمته ذهنيا الى العربية التى يفكر بها الطالب .

جـ — تفهم المحتوى العلمى للنص العربى

د — اختصار النص العربى لوضعه فى قالب المذكرة المكتوبة .

هـ — ترجمة النص المختصر الى الانجليزية لتدوينه.

والى هنا اكون قد تناولت عدة نصوص اخرى لن يتمكن الطالب من ملاحقتها ، فتخرج مذكراته ممسوخة وناقصة . وعندئذ التجأت كزملائى الى الشرح باللغة العربية مستعملا المصطلحات الانجليزية ، أما النص الانجليزى فكنت انقله الى الطالب عن طريق الكتابة على السبورة أو الاملاء البطىء او اوزعه على هيئة مذكرات مطبوعة — ولم تكن تلك الطريقة تشفى غليلى كمدرس فهى بدلا من أن تجعل التقائى بالطلبة فرصة تعليمية لهم الزمتهم وضعا سلبيا وحرمتنى الاحساس بانفعالاتهم والتعرف على ما يكتسبونه فى ذلك الالتقاء من معلومات أو قدرات ، بل ان الخلط فى هذا الاسلوب وركاكته اصابا تفكير الطلبة ومنطقهم فاصبحا غمسا ما ، وتعبيرهم فاصبح مشوشا .

كما انى لما عدت بالذاكرة الى ايام ممارستى للهندسة بعد تخرجى من الجامعة وجدتنى كنت فى وضع ضعيف وغريب بالنسبة للتقنيين والعمال الذين كان علىّ قيادتهم : فهم يتكلمون بلهجة وبلغة لم ادرسها فاذا اردت أن ارشدهم فى عمل لم يفهمونى واعتبروا كلامى مدرسيا نظريا بعيدا عن العمل وظروفه ، بل انى كنت عاجزا فعلا عن ارشادهم بلغة يفهمونها وبتعبيرات تحمل الدقة والوضوح الضروريين اليهم . فاختلاف التعبير احدث فى اجزاء البنيان الهندسى شرخا اضعفه وحدّ من نموه .

اساليب التعريب :

مضى علىّ عقد من الزمان وانا ازاول التدريس بالخليط العربى الانجليزى قبل ان استجمع عزيمتى — وقد اصبحت أستاذ المادة التى ادرسها ورئيس القسم الذى اعمل به — واستندت الى نص قانون الجامعة الذى يعتبر العربية لغة التدريس ما لم تكن هناك عقبات فى سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة فلم اجد العقبات التى كان البعض يتصورها :

فكثير من المصطلحات كان متداولا — وان احتاج بعضه الى شىء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم — وان اعتراه بعض التشتيت ، أما الباقى فقد افادتنى خبرة التدريس لعشر سنوات خلت فى الوثوق من معناه بدرجة تؤدى فى يسر الى اختيار اللفظ العربى الصالح لتأديته . وكان علىّ ان اتعود اتباع الاسلوب العلمى الصارم فى التعبير واخلص لغتى من المحسنات والتعقيدات اللفظية التى تغطى المعنى وتصرف الانتباه حتى أصل من اقرب الطرق واوضحها الى اذهان الدارسين فانقل اليهم المفاهيم فى ترتيب منطقى سلس . وقد ادى بى ذلك — وما زال — الى تذوق اللغة العربية والاعجاب برشاقتها وبنيتها المرنة .

ولعل فى اسلوب التعريف بكتابى عن سريان الحرارة الوارد فى اللوحة رقم (1) مثالا على ما اعنيه .

وقد تبين لى بشكل عام بعد تلك التجربة انه لا داعى فى تطويع اللغة لتؤدى وظيفتها فى نقل العلوم وحفظها أن يجىء ذلك تطويرا على التوالى مع الاصل فيفرعه ويشبته كما فعلت دول اوربا باللغة اللاتينية ، بل ان التطوير الذى لا غنى عنه لبث الحياة فى اللغة

تعـــريف

صيغت مادة هذا الموجز فى سريان الحرارة لتعنى بالطبيعيات الأساسية للتطبيقات التى يتلقاها الدارس فى مجال الأفران والمحركات وأجهزة المنشآت الحرارية فى نفس الوقت الذى يدرس فيه هذه المادة وبعده ، واختط منهجها باعتباره متواليا على دراسة أسس الطاقة الحرارية ومتوازيا مع سريان الموائع : فبينما يحدد القانون الأول للطاقة كمية الحرارة التى تسرى بأسلوب ما ، ويعين القانون الثانى قابلية الحرارة للسريان ، يخضع معدل سريانها لعلاقات تجريبية تعتمد على أسلوبه الذى قد يكون أيا من الإشعاع أو التوصيل أو الحمل أو يكون بعضا منها .

وقد بدىء هنا بالاشعاع — خلافا لما جرى عليه العرف فى مراجع أخرى — تأكيدا لطبيعته الموجيّة المماثلة للبصريات واستغنائه عن المادة الوسيطة بخلاف الأسلوبين الآخرين .

أما التوصيل والحمل فقد استهلا على الصعيد الجزيئى بالتوصيلية وتلاها توزع درجات الحرارة فى الجوامد ثم فى الطبقة الجدارية بينها وبين الموائع الملاصقة لها واختتما بتطبيق صيغ التعادل على انتقال كل من المادة والتحرك والطاقة فى أجهزة تبادل الحرارة .

والفضل فى بلورة هذا المنهج يرجع إلى معاناة تدريسه فى خلال السنوات العشر الماضية وتبادل الرأى فى تفاصيله مع الزميلين الدكتور حسين زكى بركات والدكتور ابرهيم فتوح جاب الله .

على محمد كامل

سبتمبر 1974

لوحة رقم (1)

يأتي موازيا للاصل محتفظا به ومضيفا اليه من صيغ وتراكيب ومعان جديدة ما يوائم انتشار فروع العلم ويواكب تقدم الحضارة .

وسأورد فيما يلى بعض التعليقات على تعريب المصطلح وأسلوب التعبير ثم على كتابة الرقم والرمز :

أ) تعريب المسطلح : شغف العرب بجمع المترادفات المتعددة للمعنى الواحد من شتى لهجات القبائل ليستعينوا بها على المحسنات اللغوية ومقتضيات الشعر والقافية ، فاصبحت لديهم اسماء الاسد والحصان والجمل مثلا بالمئات ، كما أنهم اقبلوا على التعريب من اللغات الاجنبية فاخذوا مثلا الاسطوانة من الفارسية والقصدير من اليونانية . واعمال المجامع اللغوية ومعاهد التعريب وتنسيقه تنهل من تلك الذخيرة وتحققها ثم تصنفها فى معاجم متخصصة فى شتى فروع العلم والتكنولوجيا كالرياضيات والفيزيقا والكيمياء والاحياء والنبات والجيولوجيا والفقه والقانون والسياحة والاشغال العمومية والطحانة والخبازة والفرانة ومصطلحات السيارة والمصطلحات الحضارية والخرائطية ، كما أن المعاجم التى صدرت فى تفصيح العاميات العربية تثريها عن طريق التعبيرات التى صقلها الاستعمال الدارج .

واختيار المصطلح المناسب لاستعمال معين من بين هذه المترادفات يحسمه المحاضر الذى يعرك المادة باللغة العربية وينسق داخلها بين مفاهيمها وتعبيراتها ، وهنا أود أن أؤكد عن تجربة انى ما فهمت بعض ما درسته بالانجليزية الا عند ما حاولت ان أعبر عنه بالعربية فى محاضراتى وانسق بينه وبين سائر المادة من مفاهيم . وحينما نضجت التجربة كان طبيعيا ان اسجلها فى مرجع علمي عربى وان ادرج فى نهايته قائمة بما اخترته من الفاظ للمصطلحات ، وشرحتها شرحا موسوعيا يبرر ذلك الاختيار ، واورد مثالا على ذلك فى اللوحة رقم (2). وهذا الشرح الموسوعي ، وان كان بطيئا ومجهدا الا أنه يؤدى بسهولة الى الاختيار السليم للمصطلح المناسب.

خذ مثلا كلمة Rodage بالفرنسية : يستعملها العامة فى مصر معربة تقريبا كما هى لتدل على التسيير الهادىء لمحرك السيارة الجديدة لتتوافق اجزاؤها فى تحركها مع بعضها ، وقد اطلقنا نحن على هذا المعنى لفظي « التليين » او « الترويض » ، ولكن للكلمة نفسها تطبيقات تكنولوجية اخرى وجدنا لها الفاظا عربية تعنى كلها تنعيم السطح وتوافقه : فاذا اجرى بوساطة جسم مرصع بالحجر فهو « تصقيل » ، واذا اجرى بوساطة حجر جامد فهو « تجليخ » واذا اجرى بواسطة مسحوق ناهشن فهو « تحضين » .

ثم هناك كلمة « Blade » بالانجليزية وكلمة « Aube » بالفرنسية فهما فى مجال المضخات والتوربينات يعنيان جزءا يوحى شكله ووظيفته بتفضيل تسميته بلفظ « جناح » على لفظى « ريشة » او « نصل » لان لفظ جناح يحمل فى طياته شرح نمط حركة المائع حول هذا الجزء والقوى التى تتولد من تلك الحركة والشكل الذى يساعد تلك القوى على حسن الاداء ، فالقائم بالتدريس يجد فى هذا التعبير ما يمكنه من نقل المفهوم بأقرب الطرق وارشق الصيغ الى الدارسين دون لبس أو خلط او تكرار فى سياق معالجته للمادة العلمية .

اما اذا لم يجد المحاضر بغيته فى المعاجم وهو يبحث عن تعبير لمفهوم جديد او غريب ففى وسعه ان يسك التعبير بالعربية ما دام متمكنا من المفهوم العلمى للفظ ومحيطا بالوسائل اللغوية للاستنباط كما هو وارد فى الامثلة التالية :

فالاشتقاق من أصل عربى فى صيغة مصدر صناعى أعطى « انتاجية » ، وصيغة فعلان من (غلى) أعطت « غليان » ليدل على الاضطراب ، واسم الفاعل من (حسب) أعطى « حاسبة » لاسم الآلة ، وتشديد عين اسم الفاعل لتكرر الحدث أعطى « ضغاط » ، والاشتقاق من أصل لاتينى أعطى « تلفاز » ،

والمجاز أعطى « نظم » = Systême لتجانسه مع الحبات المنتظمة فى عقد ،

والنحت أعطى « متسدرج » أى (متساوى درجة الحرارة) = Isotherme

والتوليد أعطى « هاتف » = Telephone

والترجمة أعطت « محرك » = Moteur

وتقليب الجذر الثلاثى أعطى « جابذ » = Centripète ضد « نابذ » Centrifuge

ان الذين يقولون بالتريث فى تنفيذ التعريب حتى تستكمل المعاجم ما فرزته وتفرزه الحضارة المعاصرة والتكنولوجيا من مصطلحات يستعظمون الامر كلما ذكروا ان حصيلة العلوم الحديثة فى عالمنا هذا تزداد بنحو خمسين مصطلحا جديدا فى كل يوم . فهل بلغهم أن هذه المصطلحات الجديدة لا تبدأ فى الظهور حتى تحققها المعاجم ؟ أم هى تنبت مباشرة من الباحثين والمدرسين والمؤلفين السباقين يصدرونها لكى تنقل ما يتداولونه من المفاهيم ؟ وعلى المعاجم بعدئذ دورها فى تحقيقها ورصد استعمالاتها حتى تصبح مرجعا للاحقين .

ب) أسلوب التعبير : يتلخص اختبار سلامة الاسلوب العلمى فى ظهور الهدف منه ووضوح دور كل من كلماته بحيث لو حذفت احداها لنقص المعنى او اختل .

خذ مثلا العبارة : « يتحرك كباس المحرك الترددى بسرعة **ذات مقدار** عال ، ولذا فان انجاز دورة الاشتعال **فى مثل هذا المحرك** يتطلب الاسراع **بكل من** الاشتعال الذاتى لخليط الوقود والهواء وانتشار اللهب فيه ،